رسالة إلى المهاجرة الحسناء

روايـــة

بقلم

محمد نور الدين

مؤسسة الانتشار العالمي

للطباعة والنشر والإعلان والتوزيع

هاتف : ٠١٠٢٧٢١٢١٣

e.mail:alentshar٤٨@hotmail.com

www.entshar-alamy.com

الكتاب : رسالة إلى المهاجرة الحسناء (رواية)
الكاتب : محمد نور الدين (مصر)
الناشر : مؤسسة الانتشار العالمي (مصر)
الطبعة العربية : الأولى ٢٠٠٨م (مصر)
رقم الإيداع :٢٠٠٨/٨٧٣٥
الترقيم الدولي :٥-٠٣-٦٢٨١-٩٧٧-٩٧٨
جرفيك وتصميم الغلاف : م خالد نورالدين
الجمع والإخراج : وحدة الكمبيوتر بالمؤسسة

القاهرة / مستشفى الأمراض النفسية والعصبية في مارس ١٩٧٥م

إلي ....

.... إليك أكتب رسالتي الأخيرة ....

لا أستطيع أن أخط حروف اسمك مرة أخرى... أنا أذكرها... لم ينسها عقلي بعد... لكن قلمي الصادق يفزع من الاقتراب من تلك الومضات الكاذبة المزيفة، التي تتوهج بها الحروف الأربعة... وحتى لو غالبه العناد والتحدي مرغماً إياه على كتابة اسمك... فتأكدي أنه لن يتمكن!... لسبب جد بسيط... فهو لن يجد في دواة قلبي، التي كانت تفيض في يوم من الأيام بمداد عاطفة جياشة، هي عصارة ولعلي المخلص بك... تلك الدواة التي كانت في سعة بحور الدنيا... وحرارة شمس الصحراء... لم تعد كما كانت... لم يعد بها قطيرة من عاطفة... لقد ضربتها عاصفة ثلجية غادرة... أحالت كل الدفء... كل الحيوية... كل أحلامي المستقبلية إلى مجرد تماثيل باردة صدئة... متآكلة... لا جدوى منها، ولا أمل.

هكذا غدرك قادر!... هكذا ظلمك قاهر!... هكذا جرحـــــي غائر!... ولكأن الأيام السوداء التي تعرفت عليك فيها كـــانت تحمل لي نذير الشؤم والهزيمة... مثلما كانت هى أيام بــؤس وهزيمة وانكسار لكل الناس... فلولا الهزيمة التي فوجئنا بها في ٥ يونيه عام ٦٧... لما التقيتك... لما هجرتـــم مدينتــك الجميلة على شاطئ قناة السويس... لما أقبلتم نحـــو قريتنـــا ليلاً مهرولين... ليلتها كانت قريتنـــا مختبئـــة فـــي جـــوف الظلمة... كان الهمس لم يزل يتردد خلف الأبواب... العيـــون المسهدة تترقب وترصد السماء دون منظار... الآذان تسـترق السمع، وتضيق بنقيق الضفادع الذي كان يعلو ويعلـــو بيـــن الفينة والفينة، كأنه يندب حظنا الكالح. كنا نود لحظتـــها لـــو نتمكن من القضاء على كل الضفادع التي ترتع فـــي حقـــول الأرز في المياه العفنة... وعلى كل صراصير الليل التي كـانت تواصل ولولتها بلوعة؛ حتى تتمكن آذاننا من تدقيق الســـمع من جديد في صوت محرك (ميكانيكي) يقترب مـــن قريتنـــا.. وكان كل همنا نحن شباب الدفاع المدني في مدرسه القرية أن نجتهد في تمييز هذا الهدير الذي يزحف نحونا باصرار، أهـــو صوت طائرة للعدو؟!... أم دبابة؟ أم سيارة؟... على أي حـــال

كان كل شئ في قريتنا على ما يرام... من حيث الظلام التــام، وإطفاء الأنوار، وجرادل المياه والرمال التي دربنـــا عليــها لاستخدامها في إطفاء الحرائق التي ستشب حال ضرب القرية بالقنابل من الجو... بالإضافة إلى هذا كنا قد قمنا بعمل توعية كاملة لكل الناس بالقرية، وخاصة النساء والأطفال وتحذيرهم من عدم المساس أو التقاط الأجسام الغريبة التـــي يجدونـــها على الأرض... وأفهمناهم أنها قد تكون شراكا خداعية.

هكذا كنا ننفذ الإشارات المرسلة إلينا من غرفة العمليــات بالمركز... ولذلك تذكرنا على الفور ((عمليات إسقاط جـــوي متوقعة للعدو خلال الليل)). وكلما كان هدير المحرك يقـــترب منا، كلما ازدادت عيوننا جحوظا ولمعانا في الظـــلام كعيــون القطط... كنا نستكشف السماء لنتحقق من الطائرة المعادية... في الوقت نفسه الذي اشتدت فيه قبضاتنا على ما نحمله مــن عصي كسلاح شخصي لنا... كانت تتجول في أذهاننا في تلــك اللحظات ذكريات حرب بور سعيد... والإسقاط الجوي الـــذي تم... وبطولات المدنيين... بأي شئ يصل إلى أيديهم... لـــم يكن قد تم تسليحنا بعد!... كان حمل الســـلاح شــيئا رهيبــا

بالنسبة لنا!... لم يكن قد بدأ تدريبنا في فرق المقاومة الشعبية بعد!... في مواجهة ذلك التوتر والقلق الذي شرع ينتشر في أعضائنا كلما اقترب منا هدير المحرك... تقدم أحد الصبية كان يقف بيننا رفع جلبابه عن ساقيه... عقد ذيل جلبابه الطويل حول وسطه... توجه إلى اقرب نخلة... في ثوان معدودات أخذ يتسلق إلى أعلاها... دار بعينية في الآفاق البعيدة... كنا نترقب أي صياح منه... بعد لحظات صاح مأخوذا: يبدو أنها سيارة نقل كبيرة... إنها تتقدم على طريق قريتنا!...

هدأت قلوبنا الواجفة داخل صدورنا... ما دام الأمر بعيدا عن الطائرات وعن الإسقاط الجوي، الذي حذرنا منه صباح اليوم؛ فالأمر هين... وقبل أن يهبط الصبي إلى الأرض... هبطت على رؤوسنا الكثير من الأسئلة. كانت كلها أسئلة تبعث على التوجس... لماذا تأتي هذه السيارة الآن؟!!... إن قريتنا بالرغم من كبر مساحتها، وعدد سكانها إلى حد ما إلا أن كل المقيمين عليها أقارب وأصهار... كل فرد فيها معروف لغيره... ولا يوجد بينهم من لديه سيارة نقل كبيرة... ولم

نخبر من أحد بأنه سيحضر سيارة نقل كبيرة لنقل أي شئ من القرية... ففي مثل هذه الأحوال ينبغي أن يكون معروفاً لـدى العمدة وشيخ الخفراء على الأقل بأن هناك سـيارة سـتدخل القرية ليلاً... حتى لا تكون موضع شبهة... ومن حسن الحـظ أن شيخ الخفراء كان يقف بيننـا، وطرحنـا عليـه السـؤال المتوجس... لكنه نفى مؤكداً عدم علمه وعلم العمدة بدخـول أية سيارة القرية في هذه الليلة... في الحـال صـرخ إمـام المسجد محذراً بصوت حماسي مهيب، ولكأنه بعث مـن بيـن ركام المعارك الإسلامية القديمـة: الحـذر الحـذر يـا عبـاد الرحمن!... الحرب خدعة!... الحرب خدعـة!... هـم العـدو فاحذرهم... اليهود قوم دهاء ومكر... فربما كانت هذه السيارة مقدمة فقط تخفي خلفها الجيوش الجرارة.

في الحقيقة... لم يزدنا صياحه إلا رعباً... لم يكن مبعـث رعبنا أن العدو يتقدم نحو قريتنا القريبة مـن منطقـة قنـاة السويس... بل كان عدم تسليحنا إلا من العصي والفؤوس هو الذي أصابنا بالوجل والارتباك إلى حد الفزع... وخاصة بعد أن خذلنا جيشنا الذي كنا نفخر به ونثق فـي قدراتـه ثقـة بـلا

حدود... أنا عن نفسي كنت أشعر بالرعب كلما تخيلت -قبل الحرب- مدى الدمار الذي ستواجهه إسرائيل إذا انطلقت شرارة الحرب، كنت أسأل نفسي كيف ستحمي نفسها من صواريخنا الأرض أرض القاهر والظافر و القدرات التدميرية الهائلة التي كانت تهدد بها حناجر المسؤولين والإعلاميين صباح مساء... إلى أن جاء صباح الخامس من يونيه ونشبت الحرب دون أن نعرف أن الحرب قد نشبت بالفعل، كانت طائرات العدو من الميراج والفانتوم تطير منخفضة فوق رؤسنا في ذهاب وإياب دون أن نعرف أنها طائرات العدو، ودون أن نعرف أنها ميراج أو فانتوم، فلقد كان غير مسموح للشعب أن يعرف شيئا عن قدرات أو أسلحة العدو، ومن تحدث في ذلك تعتبره الجهات الأمنية من الطابور الخامس للعدو، فيقبض عليه و يذهب وراء الشمس، وبالتالي لم نعرف شيئا عن أسلحة العدو إلا بعد أن هزمتنا، خرج علينا شعار اعرف عدوك، ولو كنا نعرف أسلحة عدونا من قبل لما توجه الفلاحون إلى السماء داعين الله أن ينصر طائرات الميراج والفانتوم التي كانت تضربنا وتدمر قاعدة الصواريخ الأرض أرض التي تبعد عن قريتنا بثلاثة كيلو مترات، حتى عندما

رأينا -عبر الحقول الممتدة - الدخان الأسود يتصاعد بكثافة بعد كل انفجارات زلزلت بيوتنا في القرية، حسبناها من قبيل التجارب و المناورات التي يجريها جيشنا الباسل بالذخيرة الحية، لحظتها كنت ممسكا بكتاب اللغة العربية وأتجول بين الحقول مستذكرا استعدادا لدخول امتحان الثانوية العامة الذي سيحل علينا بعد أربعة أيام، وكلما مررت بفلاحين قريتنا خاطبوني بفخر((شايف طائراتنا ياباشمهندس تطير على وش الأرض ربنا ينصرهم ربنا معاهم)) لم يخطر ببال أحد أن هذه الطائرات يمكن أن تكون طائرات العدو الإسرائيلي، إلى أن دفعني الفضول للذهاب سريعا حيث قاعدة الصواريخ التي يتصاعد منها الدخان بسبب المناورة، وهناك كدت أجن عندما صرخ في بعض الجنود وقادة القاعدة بأن أعاونهم في حمل عدد من الصواريخ الراقدة وزحزحتها بعيدا وتخبئتها تحت الأشجار حتى لا يضربها العدو، لم أصدق... صرخت فيهم ((أهذه طائرات اليهود؟!!...)) قالوا ((نعم))... صرخت فيهم بحماس وعنف ولماذا لم تطلقوا صواريخ القاهر والظافر كي تدمروا إسرائيل كما يدمروننا؟!!... أجابوا بيأس وقنوط لا يمكننا؛ لأن طابة الصواريخ مازالت في روسيا... والصاروخ

لايمكنه الانطلاق من غير الطابة))... صرخت مستنكرا لما أسمعه ((وكيف قبل الرئيس عبد الناصر هذا؟!!... أكانت مجرد صواريخ للعرض العسكري فقط؟!!... ألم تتشقق حناجر كبار المسؤولين السياسيين والعسكريين من كثرة ترديدهم وتهديدهم بهذه الصواريخ مصرية الصنع...)) قالوا متوسلين ((نرجوك ارفع معنا ما تبقى منها لنخبئه تحت الأشجار قبل أن تعود طائرات العدو مرة ثانية... لا وقت للكلام والعتاب)).

سمعت حشرجات البنادق القديمة في يد الخفراء وشيخهم... كان كل واحد منهم يجهزها لإطلاق النار على السيارة القادمة... فانتبهت من شرودي في ذكرياتي الأليمة التي عشتها منذ أيام قليلة، وانتبهت على صوت أحد شباب الفلاحين الموجود معنا في مقدمة القرية -وقد نصب نفسه فجاة قائدا للموقعة القادمة- ((يجب أن ننظم أنفسنا للدفاع عن القرية... ينبغي ألا نقف في مكان واحد... البعض منا ومعهم بعض الخفراء يتقدم على الطريق والبعض يبقى هنا... يجب أن نضع السيارة القادمة في كماشة... هكذا كنا نفعل في

المقاومة الشعبية سنة ١٩٥٦ فرقوا أنفسكم بسرعة... يجب أن نحاصر العدو...))

وكأننا دون أن ندري تحولنا إلى جنود حقيقيين... لم نناقش الأمر... بتلقائية تقدم شيخ الخفراء ومعه اثنان من الخفراء ببنادقهم إلى الأمام... كنت معهم في المقدمة وخلال دقائق كنا جميعا نكمن خلف سور حديقة نصف مرتفع يحف بالطريق ووضع الخفراء أيديهم على بنادقهم التي ارتكزوا بها على السور في وضع استعداد... والآخرون بفؤوسهم يتربصون، ورأيت أنه من العار علي أن أختبئ مثل الآخرين؛ واترك لقائدنا الفلاح مواجهة السيارة بمفرده وقد أخذت تقترب وتقترب، فأنا المهندس حسين القباني، كيف أسلم له بالزعامة علي في أوقاتنا الحرجة؟!!

وقفت بجواره على رأس الطريق... ولم أستجب لأمره بالاختباء مع الآخرين خلف السور... بل قلت له بتحد: أتظن نفسك أكثر شجاعة مني؟!!

لم يعقب علي... كان مشدودا بكل كيانه لمراقبة هذه السـيارة التي ترسل أشعتها المريضة الواهنة مصحوبة بأنين محركـها المتثاقل... ويبدو أن كل شئ فينا، ومن حولنا قد تحول إلـى وتر مشدود!... حتى الضفادع خرست تمام !!! تعجبت للحظـة عندما وقع سمعي علي كل هذا الصمت المطبق.. فقـط أنيـن السيارة هو الذي احتوي كل شئ حتى أعصابنا... لا أذكر أبد ا أنني تحولت إلي تربة لزجة بالعرق طوال حياتي غـير تلـك المرة... كان نبض قلبي يدمدم بأذني لحظة اقتراب السـيارة، وتقدمنا للوقوف في طريقها، وإشارتنا الآمرة لـها بـالتوقف الفوري... توقفت في الحال... كأنها كانت تتمنى أن تجد مـن يوقفها..لكن نبض قلبي طغى على سمعي... فلم أعـد أسـمع قائدنا الفلاح، وهو يستجوب سائق السيارة، والرجـل الكـهل الذي يجلس بجواره... لم أنتبه إلي ما حولي إلا بعد أن رأيـت الراكب يخرج بطاقته العائلية، يعرضها على الفلاح... أخذهـا منه الفلاح بوجه متجهم متحفز... مدها نحـوي فـي الحـال بذراع مستقيمة طالبا مني أن أقرأها بصوت عال حتى يتحقـق من شخصيته... وجدت نفسي دون مقاومة أو عناد أتحول إلى جندي أطيع الأمر... قربتها من عيني، مدني السائق ببطاريـة

صغيرة... لكن قبل أن أنطق بكلمة واحدة من بياناتها، أنشـــق الفضاء كله عن صوت آذان..تملكتنا الدهشة؛ لأننـــا نعلـــم أن الوقت ليس وقت الصلاة فلقد أنهينا صلاة العشاء منذ ساعتين تقريبا ... لكننا فوجئنا به لا يكمل الآذان بل يواصـــل نـــداءه ((الله أكبر... الله أكبر... الجهاد الجهاد... الجـــهاد الجـــهاد.. العدو على أبواب قريتكم.. من مات دون أرضه فهو شـــهيد.. من مات دون عرضه فهو شهيد...)) لم نكن نعرف لحظتها أن الصبي الذي كان يقوم بمهمة الاستطلاع مـــن فـــوق النخلـــة بعينيه المجردتين، قد أخبرهم بأنه رأى الراكبين في الســـيارة ينقضون علينا ويقتلوننا... سمعت بعدها صوت طلقات ناريـــة تطلق من جهة القرية وهتافات من كل صوب ((الله أكبر... الله أكبر)) وخرج المختبئـــون مـــن خلـــف الســـور... أحـــاطوا بالسيارة... وأردت إنقاذ الموقف قبـــل أن يفلـــت الزمـــام... فصحت فيهم ((الجماعة مهاجرون من إحدى مـــدن القنـــاة... إخواننا... مصريون مثلنا ليسوا من اليهود!!)) هبط الســـائق ومعه الرجل الكهل مذعورين مرتعشين.. كان كل واحد منـــهما يكمل كلام الآخر عندما لا يسعفه الكلام ويتوقـــف... وفـــهمنا منهما أخيرا أنهما وآخرون قد هجروا مساكنهم في مدينتـــهم

علي شاطىء القناة هربا من هول القصف العشوائي من قبـــل مدافع وطائرات اليهود، وجاءوا إلي قريتنا بحثا عـــن مكـــان آمن لأولادهم ونسائهم بعيدا عن مرمى مدافع اليهود.

فجأة احتل شيخ الخفراء ببندقيته المعلقة على كتفه مكان الصدارة بعد أن أزاح قائدنا الفلاح ناهرا إيــــاه ((دع رجـــال الأمن يتصرفون.. لا تتدخل في عملنا!!)).

في خلال دقائق كان شيخ الخفراء قد اتفق مع المــــهاجر على أن يؤجره بيتا طينيا، من بيوته الكثيرة، بسبعة جنيـــهات في الشهر!!.. أحسست بالظلم، ولم أوافقه على هذا الاستغلال، فصرخت فيه معاتبا ((هذا كثير جدا يـــا شـــيخ الخفـــراء!!)). لكزني شيخ الخفراء في جنبي لأصمت؛ فصمت... لكن الــــذي أدهشني أكثر أن المهاجر لم يساوم.. بل كان مستسلما لكل ما يسمع، لم يناقش وكان الاستغلال بينا فاحشا ؛ لأن أفخم بيـت في قريتنا كان يؤجر بجنيهين اثنين فقط.. هذا لو كان هنـــاك من يود استئجاره.. فكل منا كان له بيته.. لم يسكن في قريتنا غرباء.. وليتها بقيت على حالها الأول.. ليت شيخ الخفـــراء

رفض تأجير المهاجر.. ليت المهاجر اعترض علـــى الأجـــرة الباهظة ورفض السكن في قريتنا.. آه لو تم ذلك.. لكان خيرا لي أنا وحدي.. فأنا الوحيد الذي احترق بمجيئكم إلى قريتنـــا.. لو كنت أعلم أن هذا الرجل المهاجر الذي قابلته في تلك الليلـة الرهيبة سيعود إلى قريتنا في ضحى اليوم التـــالي مصطحبـا أفراد أسرته للإقامة الكاملة في البيت الذي اســـتأجره وأثثــه بالأمس، سيكون أباك.. لو كنت أعلم أنك ستفعلين بي كل مـــا فعلت.. لو كنت أعلم كل ذلك.. لكنت منعت دخولـــه قريتنـــا.. كنت حرضت الناس عليه، لكن ملعونة لفظة لو تلك التي تعذبنا دون أن تحل مشاكلنا. نعم.. عاد المهاجر نفسه فـــي ضحـــى اليوم التالي.. ليته عاد بمفرده.. لكنه عاد مصطحبا أسـوته.. وكنت أنت معه.

آه...

لا تعتقدي أنها أهة شوق للشيء المفقود. وليست أهة حرمان من شيء غال.. إنها الأهة الخالدة التي أطلقـــها أدم... أهـــة الندم العلقمية... تلك الأهة المكتوبة علي كـــل رجـــال الأرض ليصرخوا بها من كل نساء الأرض... الماهرات في رمي سهام الغدر... تلك السهام التي تخرج منطلقة من أحضـــان أوتـــار

أقواس الحب الخادعة!!... نعم الحب... هذا الحب الذي سـرى
في كل تقاسيم جسدي البكر... كان كالتيار الكهربائي يسـري
بين ذرات السلك النحاسي، كانت الشمس يومها أكثر بـهاء...
نسيت أنها لم تزل شمس يونيه الحزين... تخلـت عصـافير
قريتنا عن نحيبها لضياع البلد والولد -للحظات- هالني هـذا
التغريد الرائع الذي استقبلتك به!!. تملصـت أشـجارنا مـن
رقصها الجنائزي الذي كانت تواصل عرضه ممزوجا بـنزيف
نداها منذ أن وقعت بنا الهزيمة!!... رأيتها تـؤدي رقصـات
ناعمة لينة!!... تحول الكون من حولي إلى موكب أسـطوري
بديع لاستقبال عروس الكون!!... فجأة... تحولـت أنـا إلـى
مجرد عينين مبهورتين!!... كنت مأخوذا بك... لسـت أدري
بأي شيء جميل فيك أخذت!!... هل بشعرك الأصفر المـراق
على كتفيك، أوبتلك الخصلات السوداء الخجولة التي تسـللت
خارجة من بين الشعر الأصفر في رقة فتلقي بظـلال بديعـة
وآسرة؟!... أم بعينيك؟!... لقد سمعت الكثـير فـي الأشـعار
والأغاني عن عيون الغزال... كنت لا أتخيل ولا أعي ما يقـال
عن جمالها... ولكن عندما سافرت عيناي إلى عينيـك... لـم
أخمن كم من الزمن التصقت بهما... فقط أفقت علـى همـس

لساني داخل فمي مفتونا ((عيون الغزال!!))... لم أدر لماذا لم أتقدم إلى والدك لأسلم عليه، وأرحب بـه؟!!.. فأنـا الـذي استقبلته وأنقذته بالأمس.. لكن الارتبـاك شـملني منـذ أن صافحت عيناي وجهك الرائع.. أصبت بموجات إثر موجات من الخجل والقشعريرة، كلما حاولت التقدم إليكم لأسلم عليكم.. ما الذي تغير من الأمس إلي صباح اليوم التالي؟!!.. بالأمس كنت أنا الفنار الذي تعلقت به آمال والدك في بحر الضياع.. هكذا.. فجأة تنعكس الأحوال!!.. صـار أبـوك ربـان سـفينتي... (كليوبـاترا)... قـالوا فيـها الكثـير والكثـير... غنـوا القصائد...درسناها رواية بالإنجليزية في الثانوية العامة، لكني لم أتيقن من أن جمالها الأسر كان حقيقيا إلا بعـد أن رأيـت قوامك الفارع بعض الشيء... المتناسـق تمامـا... خصـرك النحيل؟!!... نظراتك البريئة الدهشة زادتك عفوية وأنوثـة.. ربما كانت خطواتك اللينة فوق تراب قريتي، واهتزاز أعطـافك اللدنة؟!!... صدرك المتواثب الجامح كخيول برية مصممة على الحرية والانطلاق من الأعنة والقيود؟!!.

أمام كل هذه الفتنة الطاغية لم أترك خجلي يحرمني من الاقتراب منك أكثر... اقتربت واجهت أباك... مددت يدي مصافحا... لم أدر ماذا قلت له بالضبط كنت أكرر كلمات لا أعي معناها!!... يبدو أنني كنت أرحب بكم... أو أعرض عليكم مساعدة... وشعرت بتراب قريتي أكثر نعومة... صارت الأرض رخوة من تحت قدمي!... كنت أغوص وأغوص كلما اقتربت منك أكثر!... ضربتني عاصفة من الانبهار عندما ابتسمت أنت لي... عكست أسنانك الخزفية الناصعة كل أشعة شمس حقول قريتي... سكبتها في عيني مرة واحدة... أحسست بدوار... لكني أفقت على صوت طفل صغير من أبناء الجيران يخاطبني مستفسراً ببراءة ((أهذه عروستك يا أستاذ؟)) أيقنت لحظتها أنك حتماً ستكونين ذات يوم زوجتي... وسكن هذا الأمل صدري في الحال... انتبهت لأجد نفسي وحيداً في مكاني بعد أن ابتلعكم بيت شيخ الخفراء الذي أقمتم فيه... لم يكن أمامي غير طفل الجيران رافعاً عينيه إلى وجهي منتظراً مني الإجابة عن سؤاله... لبرهة سيطرت على الحيرة... ماذا أقول...؟! خفت أن أصارحه بما أتمنى فيفضحني في القرية، وخفت أن أقول له (لا)... فتسمع

السماء وتستجيب وأحرم منك... لم أجد غير أن أبتسم له، وأداعب شعر رأسه بأصابعي، وأنسحب من أمام إصراره بسلام.

في الحقيقة... لست أدري يا من كنت حبيبتي... ما الدافع القوي وراء كتابة هذه الرسالة الأخيرة إليك؟!!. هل هو التحدي لضعفي في مواجهة حبك، هو الذي يجعلني أستعرضك كلك... بتفاصيل ماضيك بدقائق مشاعري... بخفي حسي، حتى أتمكن في النهاية من جمعها جميعا بشجاعة وعزة الرجال، وإلقائها خارج نطاق ذاكرتي... حيث لا عودة؟.... هل هو الاعتقاد الداخلي في النصيحة المزعومة، بأنه أفضل وسيلة للتخلص من آثار الطعام السام في معدتنا هو أن نتقيأه؟... ربما... لكن...

دعيني أذكرك بمن كان بادئا منا برمي شباك حبه على الآخر... لم أكن أنا بالطبع... لأنني سقطت في بحر هواك فجأة وبلا مقدمات... نعم هذا أمر لا أنكره... ولا أشكك فيه... لكنني بقيت مع ذلك الشاب القروي الخجول الفاقد لروح

المبادأة العاطفية... أستطيع أن أحبك كما لـــم يجـب إنســان آخر... ولكن بيني وبين نفسي فقط... هـــذا الحـب الســري الصامت من طرف واحد... يمكنني في أحلام يقظتي أن أجعلك شمسي الخضراء... أجعل منك زهرتي القمرية... وأنا فراشتك الليلية... لا يمكنني النوم قبل أن أمتص رحيق حبك، وأستمتع بشهد حنانك... قبل أن أغني لك قصيـدة العشـق الضوئيــة، بكلمات قطيفية الملمس، ساحرة النبرات، ســاخنة الآهــات.. ولكن كان سيبقى هذا العشق في صدري سجينا صامتـــا ... ولولا مبادرتك الخجولة...أو المتمسحة بالخجل... لبقيت فـــي مكاني من عالم أحلامي... لاكتفيت، واقتنعت بالعيش مع طيفك فقط في خيالي الخصب... فما أحلى تلك الموجات التي كـــانت تداعب عالم خيالي ما بين فر بالآمال مبتعدة مرتعشة وجلـــة، والخوف عليك من فقدك... والغيرة عليك من أن يأخذك آخــر مني... وما بين كر وإقبال نحو شواطئ أحلامـــي والمنتظـرة المشتاقة الملهوفة، ليوم الانضمام والانصهار في كيان واحـــد وروح واحدة... يالها من مشاعر لذيذة، وخيال كان يدغـــدغ كل أوصالي وأعضائي، قبل أن تلقي أنت نحوي بفخك المحنـك المتمرس على اصطياد السذج من أمثالي... تذكرين بــــالطبع

أول طلباتك مني... ((أرجوك يا أستاذ حسين... احمني من مطاردة فتحي أبو الهادي...أنا ضيفة في بلدكم)) لا يمكن أن أصف لك سعادتي في تلك اللحظة... إن لفظة السعادة كانت لفظة ضيقة جدا عن كل ما شعرت به وقتها... كنت أبحث عن كلمة أكثر رحابة... كنت أريد كلمة فخمة قادرة على احتواء كل ما أحسست به لحظتها من مشاعر هائلة وكثيفة... كانت سعادتي بحجم الكون... ولم لا؟!... ألم تجعلي مني فجلة فارسك؟.. رجلك الذي تستنجدين به؟... تطلبين حمايته دون شباب القرية كلهم على كثرتهم؟... صدقيني... لم أصدق ما سمعته منك... حسبت أن خيالي الولهان للقرب منك قد خدعني، وصور لي ذلك... لقد كان مجرد حلم بعيد أن أكون قريبا منك فقط... أن أسمعك فقط... لم أكن أطمع في أكثر من هذا... لذا جددت صداقتي مع حسنين ابن الوقيعة... لأني عرفت أنك جعلت من أخته صديقة لك.. لم أتردد في إعادة ربط حبال الود بيني وبين أخيها، الذي أعرضت عنه من قبل، بعد أن توقف في دراسته معنا عند المرحلة الإعدادية، وخرج ليعمل حتى يعول أمه وأخته اليتيمة، لم أجد غضاضة في أن أعاود زيارته من جديد، وأن أستمع إلى ما يدعي أنه شعر

عامي... في خلال أيام كانت صداقتي معه قوية جـــدا... أنــا أبحث عن ليلاي... وهو كأنه كان يتمنى من يصادقه ويزوره، حتى يسمعه ما يكتب ويؤلف عن الظـــروف الصعبـــة التـــي تجتازها مصر بعد النكسة... في الحقيقة كنت أعيره ســـمعي فقط وبعض الإيماءات من رأسي الشارد... نعم كنت شاردا.

((من العار عليك أن تضايق ضيفتك...)) هكـــذا خـــاطبت فتحي أبو الهادي... الذي ادعيت أنه كان يطاردك... لم أجـــد أي جهد في إقناعه بالعدول عن ذلك... لأنه أنكـــر ذلـــك فـــي الحال... لكنني لم أصدقه في إنكاره هذا... فمثلـــك عنـــدي لا يكذب... بل لم أصدقه أيضا عندمـــا زعـــم أنـــك أنـــت التـــي تطاردينه... وهو الذي يرفض... لم أصدقه... نظـــرت إليـــه لحظتها بدهشة وشك كامل فيما أدعى... وحسبت أنـــه يـــبرر خطأه، ويهرب من مواجهتي... فهو لم يـــزل بـــالصف الأول الثانوي... وأنا بالنسبة له الأستاذ حسين... المهندس... فلقـــد وقر في عقول أهل القرية كلهم... الكبير والصغـــير... أننـــي سانجح في الثانوية العامة، وسألتحق بكلية الهندســـة مقتديـــا بأخي الأكبر سامي... المعيد بكلية الهندسة... في الحقيقة كنت

أتصرف بين أهل قريتي وزملائي من هذا المنطلق.. حتى أمي وأبى كانا يتعاملان معي أيضا من هذا المنتظر... كنت قريبا جدا إلى قلبيهما... أعتقد أكثر من أخواتي البنات، وأخي المعيد... ليس لأني أكثرهم وسامة، ولكن لأني آخر العنقود... أصغر خلفتهم... لا أنكر أنني كنت مدللا بعض الشيء؛ ربما كان مبعثه خوفهما الدائم من أن يموتا قبل أن يطمئنا على مستقبلي... فلقد كان أبي واحدا من أكبر تجار الأقطان... ربح الكثير والكثير، قبل أن تحاربهم الحكومة بما أسمته التسويق التعاوني وكانت أيام هناءة وعز تلك التي عشتها صغيرا ... كل ما أذكره أنني كنت مميزا عن معظم أبناء المزارعين... في ملبسي ومطعمي... حتى في نظرة الناس المحترمة لي... كان أبى يردد دائما ، وهو يحتويني بنظرات خائفة حانية ((أتمنى من الله أن يطيل عمري حتى أراك وقد أنهيت دراستك الجامعية وتزوجت... ساعتها سأموت وأنا مطمئن عليكم جميعا))... لذا كانت ضربة عنيفة تلك التي وجهتها أنا لأحلامهم جميعا عندما خنتهم وباغتهم برسوبي في امتحان الثانوية العامة للمرة الأولى... كان حزن أبي أكبر من كل أحزان الآخرين... لم أكن أعرف السبب في ذلك... كان حزنه

أكبر من حزن أمي نفسها... سمعتها -من خلف الباب تـــهون عليه الكارثة- كانت تواسيه قائلة ((لم كل هـــذا الحـــزن يـــا حاج؟!... ربما كان هذا فداء لحياة الباشمهندس سامي)) كانت أمي رغم حبها لي إلا أنها كانت تقدر أخي الأكبر سامي أكـــثر مني... كانت تعتبره رجل البيت بعد أبي... فـــي كثـــير مـــن الأحيان كانت تستشيره في أمور الحياة، الأسرية، وخاصة بعد أن هرم جسد والدي، وفضل البقاء في البيت بشكل شبه دائـم، لم يكن يغادره إلا إلى المسجد... أو لزيـــارة إحـــدى أخواتـــي البنات المتزوجات بالقرية أو في المدينة المجـــاورة... كنـــت أحس بأن أخي سامي هو المسيطر الحقيقي على مقاليد الأمور في أسرتي... لكن كل ذلك لم يكن يعنيني في شيء... فالشيء الوحيد الذي أصبح يهمني هو الاقتراب منك أنت أكثر وأكثر.

كان رجاؤك الأول بكف مضايقات فتحي أبو الهادي عنـــك فاتحة الخير... بعدها استمر اللقاء... تواصل الكلام.. لم نكتف بالجلوس معا في بيت صديقي حسنين ابن الوقيعة.. تواعدنـــا على اللقاء بعيدا عن أعين الناس.. خارج القرية.. كنت أعاين الأماكن الآمنة بنفسي نهارا؛ لكي نتسلل إليـــها ليـــلا.. لعلـــك

تتذكرين الآن اللقاءات الأولى.. كـان أول لقـاء لنـا – كمـا تذكرين– أنت التي تجاسرت وهمست إلي به... في يوم ظهور نتيجة الثانوية... كان الحزن يعشش في بيتنا... وضمور الأمل في صدري بالالتحاق بكلية الهندسة كما كنت أتمنـى وأحلـم، أخذ يعذبني ويؤلمني... ويبدو أنك قد علمت بهذا من صديقتك حميدة... أخت حسنين أبن الوقيعة... لأنها أخبرتني بخجل أنك تريدين رؤيتي للضرورة... حسبت أول الأمر أن اللقاء سـيتم كالعادة في بيت حسنين... ولكنك همست إلي قائلة ((لقائي بك هنا غير مناسب... أريد رؤيتك بعيدا عن أعين الناس...))... لحظتها ضربني تردد مخيف... إنها المرة الأولى التي أخـرج فيها مع فتاة... ماذا لو رآني الناس مـن أهـل قريتـي؟!!.. ستكون فضيحة كبرى لي.. في الحال سيفسرون لغز رسـوبي لأول مرة... كان رسوبي في ذلك العام مثار دهشة حقيقة مـن الجميع...فتفوق أخي سامي في حياته الدراسية حتـى عيـن معيدا في كلية الهندسة، وسيكون أول دكتور وأستاذ جـامعي يخرج من قريتنا... كذلك تفوقي في السنوات السابقة، وعـدم رسوبي أبدا... كل هذا أعطاهم يقينا قويـا بأننـا أسـرة لا يرسب منها أحد... وبات خبر رسوبي في الثانويـة العامـة

بالنسبة لهم مجرد إشاعة في أول الأمر حتى تأكد لهم، فتحول إلى لغز... الآن لو أجبتك وخرجت معك... أين سأخرج معك؟!!...فنحن لسنا في مدينة عالية الجدران... أو كثيرة الشوارع والطرقات أو كثيرة (السينيمات)... نحن في قرية... بيوتها القصيرة تكشف عن عورات ساكنيها... حواريها الضيقة تسمع من يختبئ خلف الجدران كل همسة، أو دبة النملة -كما يقولون- حقولها المترامية في استواء الكف البشري المبسوط لايمكنها أن تستر عاشقين، وخاصة لو كان هذا العاشق هو أنا حسين بن الحاج حسن القباني... الشاب المهذب...لو كان الأمر يتعلق بعاشق آخر غيري... لو كان فلاحا مثلا...لما لفت انتباه أحد؛ فشباب القرية من الفلاحين يتمتعون بتسامح كبير من الجميع... لا يؤاخذهم أحد على تصرفاتهم المشينة... فهم مسموح لهم بأن يغازلوا الفلاحات في الذهاب وفى الإياب... وربما بكلمات خارجة تثير الضحك... مسموح لهم أيضا أن يسهروا في قهوة حمودة الأعرج، ويشربوا الجوزة... ويدخنوا الحشيش... لكن كل هذا محرم تحريما قطعيا على شباب القرية من المتعلمين... ولو وقع من أحدهم؛ لاتهم بالفساد والانحلال، وقلة الأدب وسوء

التربية ففي عرفهم أن الفلاح لن يحاسبه ربه لأنـــه ســـيعيش جاهلا ويموت جاهلا... لكننـــا نحـــن أربـــاب العلـــم... أولاد المدارس... فإن ذنبنا سيكون مضاعفا ، وخطأنا لايغتفـــر ... فكيف يمكنني مقابلتك إذن بعيدا عـــن النـــاس، وســـط هـــذا الحصار الأخلاقي من قبل عيون الكبـــار والصغـــار؟ تمنيـــت لحظتها لو كنت أسكن في المدينة لما سبب لي طلبك هـــذا أي حرج أو تردد، ولما اجتاح كياني هذا التوتر، فشوقي للقـــائي بك منفردين يغريني ويدفعني، وخوفي مـــن كشـــف ســـتري يمنعني... هل رأيت كيف كانت ورطتي كبـــيرة وضخمـــة؟!! عندما طلبت مني اللقاء الأول؟... لم يكن بالأمر اليسير حتـــى أدبره... ومع ذلك لم نعدم الوسيلة... اتفقنا على الإشـــارة... بعد المغرب... وعندما تغرق القرية كلها في الظـــلام... كنـــت تنتظرين خلف نافذة بيتكم تستمعين طنين سلسلة المفاتيح فـــي يدي عدة مرات، بينما أكون مواصلا لسير... بعدهـــا بخمـــس دقائق تلحقين بي على أول طريق الترعة... بجـــوار شـــجرة التوت الكبيرة... ومنها انطلقنا في أعماق حقول الذرة التـــي قاربت على الجفاف لم نعبأ ليلتـــها بمـــا حولنـــا مـــن ظـــلام ووحشة... كان كل ما يشغلني هو خوفي من أن يكون رآنـــا

أحد ويفضحني. وأقسمت لي أكثر من مرة بأن أحدا لم يـــرك وأنت قادمة... وبدأت روحي تسكن وتطمئن... للحظات طويلة أهملت كل ما يمكن أن يقال عنا.. لم أشاء أن أسلم نفسي كلية إلى الخوف، وقررت أن أنعم، وأستمتع بالقرب منك... حسـبت أنك تحبسين دمعك حزنا على رسوبي في الثانوية... أعـددت نفسي لكي تطيب، وترتاح بسماع أجمـل كلمـات المواسـاة، والعزاء في مصيبتي التي لم تزل ساخنة... فأنت بالنسبة لـي الآن كل العالم... لكنك لم تتفوهي بكلمة واحدة عن الرسـوب وعن النتيجة وعن المستقبل!!... بعد لحظـات مـن صمتـي المبتئس وانكماشي بجوارك منتظرا صوتك المتهدج ونشـيج صدرك... لم أستمع منك غير ضحكة!!... ثـم صمـت مـرة ثانية!!... وشملتني الحـيرة!!... لـم أسـتطع تفسـير تلـك الضحكة... رفعت عيني إليك أحاول تفحص ملامـح وجـهك الجميل من خلف أضواء باهت قادمة من نجوم بعيدة... لكنـي لم أتمكن من تحديـد المشـاعر الحقيقيـة مـن وراء تلـك الضحكة... ثم داهمتني بسؤال غريب ومفاجئ... ((ألم تذهـب إلى سينما أبدا ؟!!! ألم تشاهد أفلام حب أبدا ؟!!))... لـم يكـن سؤالك متوقعا ؛ لذا لم أتمكن من العثور على الإجابة في التو،

ثم أجبتك متذكراً ((منذ عام تقريباً... شاهدت فيلماً لإسماعيل ياسين..لكن لماذا؟!!))... لكنك لم تكتفي بإجابتي المقتضبة، ولم تجيبي على سؤالي الدهش، بل واصلت التحقيق معي عما رأيته في الفيلم... كنت أجيبك... حتى وصلت إلى سؤال أصابني بقشعريرة وخجل... نعم...لم أكن أتصور أبداً أنك ستطلبين مني أن أقلد معك قبلة البطل للبطلة في الفيلم... لم أكن قد وضعت في حسباني – منذ أن أحببتك أنني يمكن أن أفكر في تقبيلك قبل أن نتزوج... فهذا في عرف تربية أسرتي حرام... إنه مقدمة للزنى... كان أبي يتعمد أن يردد دائماً أمامي وبطريقة غير مباشرة... كلما حانت مناسبة أو حكاية عن الكثير والكثير من المصائب التي يجرها الزاني على نفسه وحياته... فمن زنى سيزنى في عرضه هو، وسيرى في يوم من الأيام من يزني في زوجته أو ابنته أو أخته... ثم إن الفقر هو نهايته عدا عن الأمراض التي لا حصر لها... كنت أستمع منه إلى هذا ويهتز بدني رعباً من الزنى حتى من قبل أن أصل إلى سن الحلم... لذا لم أفكر يوماً أن أفعل ذلك... وكنت أردد بيني وبين نفسي أن زوجتي ستكون المرأة الأولى والأخيرة التي أنكشف عليها ويوم أن فكرت فيك... منذ أول

فكرت فيك... منذ أول لحظة منذ أن سألني الطفل الصغير عما إذا كنت عروستي... قررت ذلك بالفعل... لكن لم يخطر ببالي قط أن أقبلك أو حتى أتحسس جسدك كل ما حلمت به لو أسعدتني أيامي، هو أن أمسك بيدك الرقيقة الحنونة، وأقربها من صدري... أجعلها تستريح فوق قلبي... فقط أريد منك أن تشعري بهذا النبض العنيف الذي يمور به قلبي هاتفاً باسمك... فقط كنت أتمنى أن ينتقل إلى مشاعرك وأحاسيسك، كل ما يعتمل في داخلي من حب مخلص وطاهر ونظيف... كنت أتحسس كلماتي قبل أن أخرجها...حتى لا تفلت مني كلمة تسئ إلى مسامعك بدون قصد... كنت أخاف على مشاعرك التي كنت أظنها نبيلة ومهذبة، لم أكن أتوقع أنك استدرجتيني إلى هذا اللقاء كي نمارس معاً شيئاً محرماً... صدقيني... لقد خفت منك في تلك اللحظة... لم أتصور بأن التي تجلس معي الآن طالبة مني قبلةً هي تلك البنت الجميلة الرقيقة الملائكية!!... لم تكن صورتك هي نفس الصورة النقية الحلوة الطاهرة، التي اختزنتها لك في أعماق خيالي شعرت بالاشمئزاز منك... امتعضت كثيرا ، وأنا أسترجع رغبتك في أن أقبلك بنفس الطريقة التي كانت في الفيلم... لا يمكن أن

تكوني فتاة طبيعية!!.. لا يمكن أن تتقمصي شخصية العاهرة!!
اجتاحني في لحظتها ضيق ونفور عظيمان... فكـــرت فـــي أن أضربك على وجهك تهذيباً لك... لكن... كما تذكريـــن... لـــم أتمكن من الرد عليك... فلقد شد انتباهنا معـــاً وفـــي لحظـــة واحدة ذلك الدبيب المنتظم على الطريق القريب... تسلل إلـــى صدورنا الخوف... كان الدبيب على الأرض متواصلاً متقدمـــاً باتجاه المكان الذي نختبئ فيه... لم يكن الصوت لأقدام بشر... ولا دبيب حيوان... كان الدبيب غامضاً...غريباً مرعباً، ثـــم توافدت معه همهمة خافتة... أصخنـــا الســـمع... أحسســـت بجسدك الحار يلامس جسدي أكثر... كنت تدفنين صدرك فـــي صدري... أشفقت عليك وأنـــت ترتجفيـــن بيـــن أحضـــاني... بتلقائية كاملة وجدت نفسي ودون وعي مني أحتضن جســـدك اللدن ... ضممتك إلي صدري بحرارة وحب... كنـــت أخـــاف عليك من الآتي... أحسست بأن المسئولية الأولى تقـــع علـــي أنا.. وقتها سيطر علي شعور طاغ بأنك زوجتي وحبيبتـــي... تلمست وجهك بشفتي... أحسست بسكينة غريبة قد شملت كل أعضائك... لم أتوقف... قررت أن أنزع عنك كل هذا الرعـــب الذي يفتك بأعصابك الرقيقة... رست شفتاي أخيراً على نبـــع

شفتيك... رأيت أفلاما كثيرة... سمعت عن قصـــص حــب... سمعت عن أنواع القبلات، من بعض الزملاء في المدرسة مـن أبناء المدينة... قرأت في الأشعار عن شهد الرضاب... ولمـــا سألت مدرس اللغة العربية عنه، دهش لأنـنـــي وصلـــت إلـــى الثانوية العامة ولا أعرفه، ضحك على سذاجتي نصف زمـــلاء الصف، قال زميل أكثر جرأة من الآخرين ((يعني ريق المـــرأة وقت القبلة)) شعرت بالقرف؛ عندما سمعت منه هذا التفســـير لشهد الرضاب... وتساءلت دهشا غير مصدق ((كيف يمكـــن لإنسان... لرجل أن يلامس ريق المرأة حتى ولو كانت ملكـــة جمال الدنيا؟!!...)) وأخرجت منديلي من جيبي وبصقت فيه.
لكن معك... أحسست بنشوة... حرارة رهيبة عاتية كانت تـــهز كل جسدي... لم أكن أصدق بأن لقاء الرجل والمرأة عن قـــرب يمكن أن يفجر طاقات لا قبل لأي عقـــل بـــها مـــن النشـــوة والسعادة والمتعة!!... معك أنت تعلمت هذا...على يديك أنـــت فهمت نصف قصائد الغزل الغامضة!!.

وأفقنا معا على صوت بكاء... كان قريبا منا جدا... يبدو أن الإيقاع الغريب المنتظم قد توقف تماما ... لم نجد بدا مـــن

أن ننتبه إلى ما نسمع... كان بكاء رجل مفجـــوع مصحوبـــا بأنين... يبدو أنه كان يشكو إلى ربه كان ينتحب ((لماذا فعلـت بي هذا يارب ؟ كنت أتمنى أن أموت شهيدا ... كان أرحم لـــي من أن أعيش بساق واحدة... أولادي الصغار يفزعـــون مـــن منظر ساقي المقطوعة... زوجتي تتحامل على نفسـها دون أن تتبرم... لكني أشعر بها.. أشعر بمعاناتها من خـــلال ملامـــح وجهها المنكسرة... لو كنت موظفـــا لـــهان الأمـــر.. كنـت سأستخدم القلم بيدي... لكنني فلاح... كل عملي يعتمد علـــى ساقي... مـــاذا أفعـــل يـــارب؟... ليتـــك ترحمنـــي برحمتـــك وتأخذني... فلقد أصبحت لا أصلح لأي شـــيء...)) ثـم عـــاد وانخرط في بكاء محموم... كان يعتقد أن المكان خـــال، ولـــن يسمعه أحد غير ربه... لم يخمن ساعتها أن عاشقين حبيبيـــن يستمتعان بمستهل حياتهما... أحدهما في غمرة حبه ونشـوته نسي أنه رسب في صبيحة هذا اليوم في الثانويـــة العامـــة... ودارت بي الأرض عندما تذكرت رســـوبي... شـــملني حـــزن أعظم، لأنني ارتكبت شيئا حراما في لحظة طيش وضعـــف.. ومع ذلك بقينا صامتين... لم نتمكن من الإتيان ولـــو بحركـــة واحدة؛ حتى لا ينكشف أمرنا لخليل أبو فرج الله... فلم يكـــن

هذا الشاكي الباكي غيره... فمنذ أن عاد من الحرب مقطـــوع الساق، وهو يمشي معتمدا على عكازين مـــن الألمونيـــوم... كان الناس يواسونه ويقولون له في أول الأمر ((أنت بطل))... لكن مع الأيام... نسى الناس البطولة وراحوا يلقبونه بخليـــل الأعرج... بعد أن زاد حقدهم عليه فيما بعد لأنه عمـــل تبـــع الحكومة... فراشا في مدرسة القريـــة... يتقـــاضى راتبـــا شهريا مضمونا يالها من ليلة... لن أنساها أبدا ... لقد تخلل طعم قبلتك أنسجة شفتي... لم أعد أحس بـــأي عضـــو مـــن أعضاء جسدي... لقد تحول كياني كله إلى شفتين مخدرتيـــن ملتهبتين... منتشيتين... كانت القبلة الأولى منك... وصدقينـــي ما زلت أستشعرها، تسبح تحت كل جلدي... خليطا من المتعـــة والدفء النشيط، والتوهج المشع... كل هذا يغمرني حتى أعلى رأسي... كنت غارقا فيه إلى الحد الذي جعلني أبتعـــد بعدهـــا عن كل الناس... فضلت العزلة والبقاء بمفردي في حجرتي... لمدة يومين ظللت معتكفا فوق سريري... طيفك لم يفـــارقني للحظة... كانت عيناي تتفحصان بدقة ونهم كل مواطن الأنوثة فيك، بين لحظة وأخرى كنت أهز رأسي غير مصدق أن كل ما حدث قد حدث بالفعل، كانت طاقاتي الملتهبة التي فجرها هـــذا

اللقاء المحموم أكبر بكثير من أن أتحملها، خفت على نفسي من الجنون... لا يمكن أن يكون الحب... قادرا على حملنا إلى هذا العالم اللانهائي من السعادة واللذة والنشوة... ليتني عرفت الحب من قبل... أحسست برغبة عارمة وقوية في التحدث مع أي إنسان عن الحب... ولكن قبل أن أفكر في الخروج من هذا الاعتكاف الممتع، سمعت طرقا على الباب، لم يكن الطارق سوى أبي... لمحت في عينيه نظرات الحزن والعتاب... اعتدلت في حضوره... جلست فوق السرير بعد أن استعرت ملامح الحزن واليأس وألصقتها بجلد وجهي... ابتسم في وجهي معاتبا ... مد يده برقة يتحسس جبهتي المنكسة، ثم همس بلوم وحنان ((إلى متى يا حبيبي ستظل حبيس حجرتك؟!! لست أول من يرسب في الثانوية العامة... الدنيا ياحبيبي مثل التجارة... مرة تكسب وتربح، مرة أخرى تخسر... لكن الإنسان العاقل القوي لا يستسلم للحزن، ولا يجب عليه أن ييأس أبدا من رحمة الله... لا بد من أن تنتصر على الشيطان... يجب أن تخرج إلى الناس...إن الحياة لن تتوقف من أجل أحد)) في الحال استجبت إلى نصائح أبي... ارتديت أحلى ما عندي، وخرجت لم أكن أفكر في مقابلة أحد

غيرك... لم يعد لدي رغبة في أن تصافح عيناي أي وجه غير وجهك الصبوح الفاتن... خمنت أنك يمكن أن تكوني في مثـل هذا الوقت من النهار في زيارة لصديقتك أخت حسنين... لـم أعد أفكر... في الحال توجـهت إلـى بيتـهم كالمسـحور... وانتابتني حسرة عندما علمت من حسنين أن أخته هي التـي في بيتكم... لكني لم أيأس... منيت نفسي بأن تأتي معـها... لذلك لم أفارق البيت... جلست مع حسنين... وفي غمار حالـة النشوة العاطفية التي أسبح فيها سألته إذا ما كان قـد كتـب شعرا عن الحب؟ ... ابتسم بصدق وغمز بعينه اليمنى، وقـال مداعبا ((أنت الآن غارق في بحر الحب هنيئا لك)) أحسسـت بفشلي في مواجهته عندما حاولت أن أنفي عني ذلك.. لكنـه همس بصراحة كاملة ((إياك أن تعتقد أنني مغفل... فأنا أعلـم كل شيء عن علاقتك بصديقة أختي... مـا دامـت العلاقـة شريفة فلا بأس)) وسيطر علي اضطراب واضح، لم أسـتطع إخفاءه عندما ذكر أن العلاقة التي بينـي وبينـك لـم تـزل شريفة ... ماذا لو علم بأننا التقينا فـي حقـل الـذرة ليـلا، وعانقتك وقبلتك؟!!.. المسكين يعتقد أنه ليس مغفـلا، وأنـه يعرف كل شيء عن علاقتنا الطاهرة البريئـة!!... الحمـد لله

على جهله بما صرنا إليه... وإلا لمنعني من دخول بيتهم مرة أخرى، ولأمر أخته بقطع علاقتها بك... لكنه أردف متسائلا في جد ((لكنك... أ فكرت في نهاية لهذه العلاقة؟... أنت في يوم من الأيام ستكون مهندسا... وهي لم تصل في دراستها إلا إلى الشهادة الإعدادية، رسبت فيها هذا العام ولم تحصل عليها... لقد أعدت نفسها لكي تكون ربة بيت ألا تجد في ذلك أي حرج، أو تعارض مع طموحك ومستقبلك؟!)) بالطبع دافعت دفاعا حاميا عن الزوجة التي لا تعمل... واستحضرت له كل المزايا التي أعرفها عن الزوجة التي لها نفس ظروفك... ربة بيت... وأكدت له -في غمار نشوتي- أنني معك وحدك سأكون أسعد إنسان... ورجوته أن يكون هذا الأمر سرا بيني وبينه... فلا يوجد أحد في القرية يعرف شيئا عن حبنا حتى الآن... ولولا ثقتي المطلقة فيه، ولولا أني أعتبره الصديق الوحيد المخلص، لما صارحته بهذا السر.

في الحقيقة نجحت لحظتها في استغلال هذا النبل الذي يتمسك به كشاعر... ووعدني بأنه سيكون أمينا جدا على هذا السر... وأحسست أنني ضربت عصفورين بحجر واحد... فلقد

أصبح من السهل بعد ذلك أن أطلب من أخته أن تحضرك في أي وقت في منزلهما دون حرج، أما العصفور الثاني فهو هذا الحرج الذي أصبحت أنوء بحمله داخل بيتي وحجرتي، وخاصة أن أخي الأكبر قد عاد من القاهرة منذ أيام... وهو من عادته أن يطلق يده في كل مكان في البيت... فهو الكبير العاقل المهيمن على المصلحة الأسرية لنا جميعا وأنا أولهم... فلو وقعت يده على تلك الخطابات الغرامية التي كتبتها لي، والتي بدأت تتزايد يوما بعد يوم... لكانت فضيحة لي... في الحال سيتعمد إثارة الموضوع بطريقة تتهم الجميع بالتقصير في تربيتي ومتابعتي ومراقبتي في غيابه... وسيجعجع كثيرا مدعيا بأن الأمور في غيابه عن البيت لا تسير سيرا حسنا... كان غروره يدفعه في أحيان كثيرة إلى النظر إلي كما لو كنت طفلا صغيرا يحتاج إلى إشراف ومتابعة وتوجيه... كأنه وحده هو الرجل الناجح المتفوق المتحمل للمسئولية!!... هو العقل المفكر للبيت، ومن غيره ستتوقف عجلة حياتنا!!... في غضون ذلك كنت أستشعر الراحة والنشوة والسعادة في وجه أمي... بالقدر نفسه الذي كنت أحس فيه بمشاعر العتاب وعدم الرضى لدى أبي... لدرجة أنه عاتبه ذات مرة قائلا في أسى

((لا تتكلم مثل هذا مرة ثانية... فأنا ما زلت على قيد الحيـــاة وما زلت آكل من مدخرات شبابي وعملي... أنا ما زلت رجـل البيت يا باشمهندس!!)) في الحال انبرت أمي مدافعة عن أخي الأكبر وتصرفاته، بلوم وتوبيخ أشد لأبي ((وهل الدكتور أخطأ يا حاج عندما يهتم بمصلحتنا، ويتحمل مسئوليتنا لـيريحك!!)) لم يعقب أبي... فقط نهض للصلاة في المسجد، يبدو أنه أيقـن أن مواصلة الكلام معهما لم يعد مفيدا... لقد هرم... وما دامت زوجته تؤيد تصرفات ابنها؛ فلا طائل من كل ذلـــك... ومــن يومها وأخي الأكبر صار أبي الفعلي... فهو الذي يسألني عـن دروسي... وهو الذي يحدد لي مصروفـات جيبـي، حتـى لا تفسدني كثرة النقود... وهو الذي يحدد لـي الطريقـة التـي سأستذكر بها دروسي... ولم أكن أشعر بأية مقاومة داخليـة له... ولكني كنت أشعر بنوع من الشفقة تجاه أبي، كنت أحس تجاهه بأنه ملك مخلوع!!... فكيف بـأخي لـو عـثر علـى الخطابات وهو بكل هذه السلطات المطلقة في البيت؟!! وهـو الذي يسعى دائما للبحث عن أخطاء الآخرين، حتى يزيد مـن تحكمه؛ لذلك كانت فرصة مصارحة حسين بحبي لك قد جـاءت

في وقتها... ومن يومها، وهو يحفظ لنا كـل خطاباتنـا فـي أمان... بعيدا عن وقوعها في يد أخي.

بالرغم من أني لم أحظ برؤيتك يومها... إلا أنني عـدت إلى بيتي في تمام الرضا والسعادة، لأني أمنت جانبا مهما مـن حبنا، بالعثور على صديق نبيل ومخلص... فلقد كانت علاقتنـا العاطفية بحاجة إلى صديق نبيل ومخلص... وخاصة في قريـة مثل قريتنا... تعرف فيها الأسرار قبل أن تقـع... وأحسسـت وأنا اقترب من بيتنا -المفتوح بابه بشكل دائم كبقية أبـواب القرية- بخفة في جسدي وروحي...كأنني لم أرسب هذا العام؛ يبدو أن نجاحي الليلة في اكتسـاب حسـنين ابـن الوقيعـة كصديق، أرجع لي ثقتي في ذكائي، جعلني أتيقن أن رسـوبي في الثانوية العامة كان مجرد ضربة سوء الحظ ؛ لـذا كنـت أتأجج سعادة وأنا أخطو خطواتي الأولى داخل بيتي... وفجـأة استوقفتني أصوات غريبة منبعثة من داخل الحجرة الداخليـة.. الحجرة التي ينام فيها أبي وأمي... هـذه الحجـرة عـادة لا يدخلها أحد غيرهما؛ فالضيوف يتم استقبالهما في المنظـرة... وهي تطل بنوافذها على الطريق...اقتربت لأتسمع وأخمن مـن ذا الذي يتكلم معهما... كانت أصوات مختلطة... اسـتطعت أن

أتبين منها صوت أبي وأمي وأخي الأكــبر بســهولة... لكــن صوت المأذون الذي كان يتكلم معهم، لم أســتطع أن أمــيزه بسهولة أول الأمر... أخذتني الدهشة لوجود مأذون القرية في بيتنا... وفي الحجرة الداخلية... إنه في العادة لا يدخل بيتنا إلا في حالتي الزواج أو الطلاق... ثم إن أخي سامي لم يفكر فــي الزواج الآن... ولن يفكر فيه قبل الحصول علــى الدكتــوراه -كما كان يردد- بينما والدي ووالدتي في ظروف لا يمكــن أن تسمح لهما بالتفكير في الطلاق... فعلاقتهما ببعضهما طيبــة جداً ثم إنهما صارا جدين لأولاد وبنات أخواتي البنات. لمــاذا إذن حل هذا الرجل ضيفاً على أبــي وأمــي فــي حجرتــهما الخاصة؟!!... فكرت أن أدخل عليهم وأســلم... لــولا أنــي سمعت اسمي أنا يذكر أثناء نقاشهم الأقرب إلى الهمس؛ لذا لم أجد غضاضة في محاولة الاقتراب من باب الحجرة المــوارب والتنصت... تعجبت عندما سمعت أخي الأكبر يقول بــإخلاص ((الحمد لله لأن حسين رسب هذا العام... أفضل مــن نجاحــه بمجموع لا يسمح له بالالتحاق بالجامعــة...)) قاطعــه أبــي بنبرات كلها عتاب وتأنيب ((اتحمد ربك لأن أخــاك الصغــير رسب يا دكتور؟!!)) رد عليه أخي وبإصرار على رأيه ((طبعاً

يا أبي... لأن رسوبه سيتيح له فرصة إعادة السنة الدراسية في مدرسة حكومية... وفي هذه الحالة يمكننا أن نقدم كشف العائلة الخاص بي للتجنيد... وأتمكن من الحصول على إعفاء مؤقت من الخدمة العسكرية...)) ويبدو أن أبي شعر بحزن حقيقي، وهو يسمع هذا من أخي الأكبر لأنه نهره معاندا ((ومن قال لك أنني يمكن أن أوافق على حيلة الطلاق الصوري هذه!!)).

انبرت والدتي للرد على أبي وبضيق وبصوت حاد النبرات، يحمل الكثير من السخط والاستخفاف ((ولماذا لا توافق على الطلاق الصوري يا حاج؟!!... أتكره الخير للدكتور؟!!... إننا نعيش من أجل أولادنا و...)) قاطعها أبي بغضب أشد، وبنبرة أحد ((هذا حرام... حرام علي أن أزور في أوراق رسمية... وحرام علي أن أساعد ابنك... الشاب المتعلم على الهروب من أداء الخدمة العسكرية... نحن في زمن الحرب... اليهود على بعد أربعين كيلو مترا منا!!...)) قاطعة المأذون محتجا ((لا يا حاج... لا تقل إن هذا تزوير... فأنت لن تلفظ يمين الطلاق... وليس لديك نية في قلبك للطلاق...

ولذلك فإن الطلاق لن يتم أصلا... إنها مجرد أوراق سأملؤها، وأقدمها للحكومة لتوقيعها... كذبة بيضاء لن تضر بأحد... لكنها ستنقذ ابنك الدكتور من ضياع مستقبلة و...)) وقاطعه أخي الأكبر سامي بنبرات قريبة من البكاء ((يا أبي معظم زملائي ممن لديهم هذه الفرصة المواتية لم يضيعوها... إنها فرصة لكي أكمل دراستي العليا، وأحصل على الدكتوراه... لو جندت الآن لضاع كل مستقبلي... المستقبل غامض... العسكريون أنفسهم لا يعرفون متى تنتهي الحرب!!... أنتم هنا في القرية لا تعرفون شيئا ... أنتم مخدوعون بوسائل إعلام الحكومة المهزومة... لكن الحقيقة كما يعرفها الجميع أن القوات المسلحة تحتاج إلى عشرين سنة على الأقل لكي تبني نفسها... لكي تكون قادرة من جديد على خوض حرب...)).

قاطعت أمي مزمجرة ((لا تصلب رأسك يا حاج !!... لا تضيع مستقبل ابنك!!... وافق على الطلاق الصوري حتى يتمكن المأذون من القيام باللازم)).

انقطع الحوار الساخن فترة... احتـــل الصمـــت أرجـــاء البيت... خفت أن ينكشف أمري... أردت الانســـــحاب مبتعـــدا عنهم بحذر، لولا أني سمعت أبي يقطع هـــذا الصمـــت قـــائلا بتوسل واستسلام ((لن أعطيكم كلمة الآن...أمهلوني يوميـــــن كي أفكر، وأستخير الله في هذا الموضوع... لكني عاتب عليك يا شيخ أحمد، يا مأذون البلد... تزور في أوراق رسمية وأنت بمثابة القاضي في قريتنا؟!!... من أجل ماذا؟ حفنة من المـــال الحرام؟!!)).

أدهشني أن المأذون لم يغضب من كلام أبي المهين لـــــه، بل أطلق ضحكة مجلجلة صاخبة!! كأنه يواري خجله، أو كأنه يغيظ أبي المهزوم أمامه من قبل أمي وأخي الأكـــبر، وقـــال : ((يا حاج... يا رجل يا طيب... لا تسبح عكس التيار حتـــى لا تتعب... ومصلحة الدكتور هي أهم مصلحة عنـــدي، أتصـــدق بالله؟ نصف شباب القرية عملت لهم حكاية الطلاق المزور هذه التي تقول عنها... لكن كله يتم في السر... وليس هنـــاك أي مخلوق يعرف عن الآخر شـــيئا...اطمئـــن يـــا حـــاج. إنـــها أسرار...)) قاطعه أخي الأكبر بصوت منشرح، كأنـــه يخفـــف

الهم عن صدر أبي، ويضمه إلى صفه ((يا أبي... كنت أتوقع أن تقف معي ضد عبد الناصر الذي حاربك في رزقك ورزق أولادك، هل نسيت اليوم الذي حرم عليك تجارة القطن، وجعلها احتكارا لحكومته بما أسماه التسويق التعاوني؟... وراحت وسائل الإعلام توحي للناس بأنكم كنتم لصوصا تسرقون عرق الفلاح!!...)) رد عليه أبي بنبرة الأب الواعي لخبث ابنه ((لا تحاول أن تخلط الأمور يا سامي يا بني... أنت تعرف جيدا أن القوات المسلحة لا تحمي عبد الناصر... القوات المسلحة تحمي مصر... تحمي أمك وأخواتك البنات حتى لا يغتصب عرضهم اليهود... أنا ما زلت أبوك الحاج حسن القباني... أذكى تاجر بالمركز كله...على أي حال... لقد حلت صلاة العشاء الآن... سأنهض إلى المسجد... وموعدنا هنا يا شيخ أحمد يا مأذون البلد... بعد يومين إن شاء الله...))

في الحال انسحبت متواريا عن عيونهم... وبسرعة انزلقت إلى أقرب باب حجرة... والحمد لله... لقد كان باب حجرتي...ما إن ألقيت بنفسي الدهشة فوق سريري، حتى تلقفتني بعنف عاصفة هائلة من المشاعر والأحاسيس

المتناقضة... حاولت أن أجتر كل ما سمعت منذ لحظات لأكــثر من مرة، وإذ بي أستحيل إلى بركان من ســخط علــى أخــي الأكبر، وكذلك على أمي التي اشتدت بكلامها الحار، وأنفاســها المستعرة على أبي... وخاصة في حضور الشيخ أحمد مــأذون البلد الأفاق المنافق... فإنه حتما سيتندر بما وقع الليلة فــي بيتنا، وهو يجلس وسط شلته التي يجتمع بــها حــول نــار الجوزة... وعندما يلعب الحشيش برأسه، وتحمــر أوداجــه، وتنتفخ عيناه محملقة بصعوبة فيما حولــه، كعينــي ســمكة بلهاء...سيطلق ضحكاته الماجنة المصحوبة بســعال خشــن وطويل، ثم يطلق حكمته ((صحيح الكبر عبر يا جماعة!!)) في الحال سيتفجر الكلام من تلقاء نفسه، عندمــا يســألونه عــن الداعي وراء هذه الحكمة؟!!.. عن المناسبة التي دفعته للقــول بهذا المثل؟ لن يتأخر... لن يفكر في ستر حرمة البيت ((لقــد رأيت القباني الليلة منكمشا فــي مواجهــة ابنــه الدكتــور وزوجته... كان مثل الأرنب!!... الحاج حسن القبــاني تــاجر القطن!!...لم تعد له أية كرامة في بيتــه!!... بعــد أن كــان يحسب له الجميع ألف حساب!!)) ولن يسلم الأمر من التعليــق من جانب السكارى ممن حوله... سيخرج منهم مــن يقــول

ساخرا... ((يبدو أن (موتوره) قفش يا جماعــــة)) ســتنطلق ضحكات كثيرة على أبي... وسيعلق آخر مبررا بخبث ((المرأة زوجته معها حق... القباني كبر وعجز مرة واحدة... منـذ أن أدخلوا القطن في شون الحكومة، والرجل جسمه في النازل كل يوم يزداد شيخوخة... المرأة أم الدكتــور بعكســه... تـزداد شبابا وحلاوة وجمالا... من يرها لن يقول عنـها إنــها الآن جدة)) ستكون السهرة كلها وحديث السكارى عما وقع الليلـــة في بيتنا... سيكون أبي الحاج حسن القباني أضحوكة السكارى ومن السبب في ذلك؟... سامي... الدكتور... الذي يصر علــى الهروب من الخدمة العسكرية حتى ولو بالتزوير!!... يطلــق أمه من أبيه بعد معاشرة دامت أكثر من ثلاثين عاما!!... مــن أجل مصلحته... يحمد الله لأني رســبت!!... رســوبي جــاء لمصلحته... سأعيد السنة الدراسية في مدرسة حكومية... ذلك سيكمل البيانات المطلوبة في كشف العائلة الذي ينوي تقديمــه لمنطقة التجنيد... وأبي المسكين... صار يشعر هو الآخر بـأن الأمور قد خرجت من يده، لم يكن لصوت أمي في يــوم مــن الأيام أن يرتفع أبدا في حضوره... ومهما كــانت الأمــور... لكن اليوم... لم تعد تخجل من أن تصرخ في وجهــه كطفـل

صغير!!... كأنه أجير عندها!!... كأنه لم يعد زوجها!!، صار كل احترامها وتقديرها لابنها دكتور المستقبل!!... كأن أبي المسكين بالنسبة لها كان مجرد جسر عبرت عليه إلى ابنها الدكتور، ولم تعد في حاجة إليه... اجتاحتني عاطفة من الكراهية لأخي سامي وأمي...لأول مرة أشعر تجاههما بمثل هذا الشعور... في الوقت نفسه الذي هز كياني إلى حد الذوبان... شعور يفيض بالشفقة والرأفة والغضب من أجل أبي... كان هذا الشعور يتصاعد ويتصاعد كلما تخيلت شلة الحشاشين، وهم يتفكهون بضياع كرامته في بيته، ويتضاعف إحساسي تجاه الشيخ أحمد المأذون بالاشمئزاز والسخط والازدراء، فكرت للحظة أن أنهض من سريري... أقصد المأذون أفتعل معه شجارا... أضربه... أشل حركته الليلة أحاول منعه من الذهاب إلى سهرته الساخنة حول نيران الجوزة في بيت عتريس قنفذ... أحول دون التشهير بأبي... هو يزعم أن ما يحدث أمامه يعد سرا، لن يبوح به لمخلوق!!... الكذاب... القرية كلها تعلم كل كبيرة وصغيرة عما يفعل... كل القرية تعلم وتعرف من هم الذين زوروا قسائم الطلاق للحصول على منفعة، و من هم الذين أفلتوا من

التجنيد... وكذلك عقود الزواج المزورة التي يعقدهـــا لبعــض الشباب العاملين في الخارج ؛حتى يحصلوا على إضافات كبيرة لمرتباتهم بسبب حالتهم الاجتماعية كمتزوجين... الشيخ أحمـد المأذون بنفسه هو الذي كان يعلن للجميع عن بضاعته... كان بذلك يشجع المترددين فـــي طلــب قسـيمة زواج أو طــلاق مزورة... في صباح الغد... إن لم يكن في مساء هذه الليلة... كل القرية ستعرف أن الحاج حسن القباني قد طلـــق زوجتـــه طلاقا صوريا، لكي يهرب الدكتور من الجيش... تخيلت منظــر أبي المهاب من الجميع... يسير في طرقات القريـــة قــاصدا المسجد، أو عائدا من المسجد وهو منكس الـــرأس مكســور الخاطر... أبي أعرفه جيدا ...إنه رجل يعتز كثيرا بكرامتــه... لن يتحمل أن يتقول عليه أي مخلوق، تضخمــت فـــي عينـــي صورة وجه أبي الحزين الذليل... فـــاضت مشـــاعر الشــفقة بصدري ... لم أتحمل كبتها... اندفعت من عيني فـــي شــكل دموع أغرورقت بها عيناي أول الأمر... ثم ما لبثت أن غرقت في البكاء المر مرة واحدة ...احتشدت أحزاني حولـــي مـــرة واحدة... تذكرت رسوبي هذا العام... لم أبك من قبـــل... الآن فقط أحسست برغبتي في البكاء تتضاعف، عندما تذكرت مـــا

قال به أخي من أن رسوبي كان خيرا له... لم أكن أتصـــور أن بكائي هذا يمكن أن يحدث مني يوم من الأيـــام... لكـــن تلـــك المرارة التي تجمعت في أعماقي مرة واحدة ... هذا الســـخط وتلك الكراهية العارمة نحو أخي وأمي ونحو نفسي أيضـــا ... ونحو كل الناس وعلى رأسهم هذا الحشاش الذي يـــزور فـــي الوثائق الرسمية... لم أدر لمـــاذا تقمصـــت شـــخصية أبـــي للحظات؟... أحسست فيها بمرارة الذل... أحسست بالعجز فـــي مواجهة الآخرين... شعرت بضآلتي أمام أقرب الناس إلـــي... هؤلاء الذين أفنى عمره وشبابه من أجلـــهم... تذكـــرت أبـــي عندما كان في كامل قوته وحيويته... عندمـــا كـــان يفيـــض بالصحة والسعادة والنجاح في تجارته، كان البيـــت مفتوحـــا للجميع... كل الأهل والأقارب كانوا يأتون إلينا... كانوا يأكلون ويشربون... كان لسانهم يهتف بالدعاء طوال الوقت... كـــانت أمي ترتعد عندما كان أبي ينظر إليها نظرة تخلو من الرضـــا، كان يجلسني ويجلس أخي سامي فوق فخذية عندما كنا طفلين صغيرين... فيطعمنا في فمنا بيديه... وقبل أن يأكل هو... كان يوزع علينا القبلات... إذا نهرتنا أمنا؛ لأنها رأت أيا منا قـــد لوث قفطان أبي الداخلي الأبيض، والذي كـــان يحلـــو لـــه أن

يجلس به معنا في أيام الحر الشديد في فصل الصيف... يبتسم لها مخففاً من حدتها علينا، ويهمس لها مؤنباً ((إذ أنا لم أحن عليهما وأدللهما... فمن غيري سيفعل؟!... دعيـــهما.. إن الله يرزقنا بسببهم)) كان يرفعنا معاً بيديه القويتين إلى الفضـاء... كنا نصيح فرحين خائفين؛ عندما نرى أننا قد قربنا من ســـقف الحجرة الخشبي، وكان يجلجل بضحكته الرائقة الحلوة... مـــا زالت كلماته وضحكاته تسكن في أعماقي حتى اليوم...

وضربتني من جديد أمواج بعد أمـــواج مـــن الإحســـاس بالظلم العاتي لهذا الحال الذي آل إليه أبي... انتابني من جديـد شعور بالشفقة والرثاء ناحيته، وتدفقت دموعي من جديـــد... استحالت عيناي إلى أنهار لا تنوي الجفاف أبداً.. لم أعد أمـيز على من أبكي!!... أعلى رسوبي وضياع سنة من عمـري؟... أم على أبي الذي ظلمه الزمان؟ أم من تصرفات أخـي وأمـي التي تفضح جحودهما؟... فكرت لحظتها أن أقف بجوار أبـــي ضد أخي وأمي... أنصر موقفه... ولكني لم أدر لماذا تراجعت في الحال؟... ربما خوفاً من تهكم أخي علي لأني فاشل وهـو متفوق في دراسته... وسيعيد بالطبع على مســامعي التفـوق

الذي حققه هو في الثانوية العامة، مما جعله مؤهلاً للالتحــاق بأية كلية... حتى بكلية الطب... ولكنه فضل أن يلتحق بكليــة الهندسة... ولن تتركه أمي دون أن تسانده، وتنصره علـــي... وسأسبب حرجاً بالتأكيد لأبي... ســأضعه مــن جديـد فـــي مواجهتهما...سينهزم من جديد... لذا قررت فـــي الحـال أن أحاول نسيان الموضوع برمته... فأنا لن أقدم ولن أوخر... بل ربما أزيد المشاكل في البيت، وأضيف متاعباً لأبي هــو فـــي غنى عنها... يكفيه ما يعيش فيه لا داعي لأن أحمله المزيـــد من الأسى والإحباط...أقول لك الحق... لم ينقذني مـــن تلــك الدوامة التي ابتلعتني حتى أعمق أعماقها، إلا ظـــهور طيفــك الجميل... لم أدر كيف تمكن من انـــتزاعي، وحملـــي بحنــان ورحمة إلى حيث الأمان والإحساس بالطمأنينة والارتيـــاح... لكن فجأة...ووسط تلك الراحة النفسية التي بـــدأت أتلمســها، وأسعد بها عندما هل طيفك الجميل علي... وخزني شيء مــن الشك... فقد رجعت بي ذاكرتي إلى لقاء الذرة الملتهب... قبــل أن ينساب الخدر اللذيذ في عروقي - كعادتي كلما تذكرت ذلــك اللقاء... دهمني سؤال مزعج يفوح برائحة نفاذة مـــن ســوء الظن بك... لقد تذكرت همسك لي، وتضرعك بأن أدخل لساني

في فمك... توسلت إلى حد البكاء بتحنان كان غريبا علي، لقد كانت المرة الأولى التي أقبل فيها فتاة... قبلتك في شفتيك... كما تقبل الأم طفلتها... لكنك طلبت مني نوعا معينا من التقبيل، كنت أجهله... كنت أنت على دراية به... أدركت الآن فقط أن تجربتك في القبلات عريقة... تذكرت همسك ساعتها، وأنت ترتعشين ((قبلة اللسان تسحب الروح من الجسد... تحلق بي في عالم سحري بعيد ولذيذ))... لقد فعلت ما طلبته لحظتها... كنت مخدرا ومنقادا ... لم تكن لدي أية فرصة للتفكير والتحليل والاستنباط... بعدها نما في عقلي السؤال.. طفق يتضخم ويتضخم ((هل أنت الشاب الوحيد الذي ما رست معه مثل هذه اللقاءات الساخنة؟... أم أنها دربت مع غيرك تدريبا جيدا ... وجاء عليها الدور لكي تدرب أولاد الفلاحين؟... ترى كم من الشباب في بلدها عاشت معه مثل هذه اللقاءات المستعرة بالشهوة؟ ولماذا في بلدها فقط؟... لماذا لا يتم مثل هذا في قريتك هنا... ومع شاب غيرك؟... وقد تكون أنت واحدا من مجموعة من المغفلين...)) تذكرت في الحال ما أدعى به فتحي أبو الهادي، عندما طلبت منه الكف عن مطاردتك ومضايقتك... قال يومها... إنك أنت التي

تطاردينه... وليس هو... بعد مزيد من التـــأمل فـــي مســـألة غفلتي... أو إن شئت فقولي سذاجتي... بدأت تتضح لي أمــور كثيرة... يبدو أنني كنت أعيش في حبك بنصف عقل، وبربـــع تفكير... يبدو أن جمالك الخارق كان بمثابـــة المخـــدر الــذي سلبني نعمة البصيرة... أصبحت ومنذ أن رأيتك أسيرا للبصــر فقط... تصاعدت في أعماقي مشاعر السخط عليـــك، وعلــى اليوم الذي حملك أنت وأهلك إلى قريتنا... اتخذت قــرارا فــي الحال ((لن تمر علي هذه الليلة وأنا مغفل... لابـــد أن أذهــب إليها... لابد أن أقطع عرقا وأسيل دما... لابد أن ألقنك درســا لن تنسيه أبدا... لابد أن تعلمي أن أولاد الفلاحين ليسوا مـــن السذاجة، حتى تستغلهم فتاة لعوب مثلـــك)) وفـــي مواجهـــة ثورتي المحتدمة في أعماقي هذه، قررت أن أنتفض من رقادي الباكي هذا... نهضت دون أن يشعر بي أحد.. خرجـــت مـــن بيتنا... توجهت إلى بيتك فورا ... كنت عصبيا جدا ومنفعــلا بقدر يكفي لأن أكون شجاعا وغير متردد أو متهيب للقائك... مررت مهرولا متوترا من أمام بيتك عدة مـــرات... ذاهبــا أيبا ... وفي يدي سلسة المفاتيح المتعارف عليـــها... رحـــت أطنطن بها بانفعال... لم أعبأ بنظرات وغمزات بعـــض مـــن

شباب البلد، الذين كانوا يقفون في شكل تجمـــع أمـــام دكـــان البقالة القريب من بيتكم... سمعت واحدا منهم يكلـــم الآخـــر بصوت مرتفع لأسمعه ((يا بني الحب بهدلة)) وأدركت أننـــي المقصود بهذا... لم أغضب لأني كنت مشحونا بكمية هائلـــة من الغضب والسخط عليك تحول دون تقبل أي غضب جديد...
وأخيرا خمنت أنك قد تكونين عند صديقتك أخت حســـنين... لم أتردد في الذهاب إليه مرة ثانية، وفي اليوم نفسه، لم يعـــد لدي أي إحساس بالحرج... لقد صارت لي قضية واحدة... من أجلها سأتحمل كل لوم أو تهكمات من الآخرين ((هل لك علاقة بأي شاب آخر... سواء في القرية أو في بلدكم الســـابق؟...)) سؤال حاسم ويجب أن تكون الإجابة عنه حاسمة... لا مجـــال للمراوغة في هذا الأمر... لقد أحببتك حبا شريفا... لم أحبـــك للتسلية أو لتمضية عطلة الصيف... لا يمكن أن أضيـــع كـــل شيء هباء ... دعيني أصـــارحك الآن بـــأنك كنـــت الســـبب الرئيسي في رسوبي وفشلي... نعم كنت أكبت هذا الاعـــتراف داخل نفسي... كنت أخشى أن أكـــرره فـــي ذهنـــي حتـــى لا أكرهك... كنت أحاول دائما أن أجعل صورتك الرقيقة مرتبطة في خيالي بكل معاني الخير والسعادة بالنســـبة لـــي... لذلـــك

استنكرت بيني وبين نفسي يقيني من أنك السبب الحقيقي وراء رسوبي...فمنذ رأيتك... منذ أول يوم لم أعد بقادر على السيطرة... فقدت القدرة على تجميع شتات تفكيري... لقد تبلور تفكيري كله حول جسدك المبهر بالنسبة لي... وفي الحقيقة لم يكن بالنسبة لي فقط... كان بالنسبة لكل أهل القرية...فلم يسبق لنا في قريتنا أن وقعت أعيننا على ساقين عاريتين ملفوفتين وممتلئتين بشكل مغر... كلنا في قريتنا نميل إلى الأجساد البيضاء في لون الحليب... بالرغم من أن كل أغانينا عن الأجساد السمراء... كانت ركبتاك المكدستان باللحم الأبيض المتماسك كقطعتي جبن قريش تتطلعان في جرأة وثقة من تحت (جيبتك) الحمراء بصورة مثيرة... لم يسبق لقريتنا أن خطا فوق ترابها الأسود مثل هذا العري الفاتن... فكل بنات البلد، وكل النساء يدفن أجسادهن كلها في ثوب أسود فضفاض... وإذا أرادت إحداهن الإغراء... فيكفيها أن تكشف عن كعبيها وحسب... أو بالكاد عن عشرة سنتيمترات فوق ذلك فقط... وإلا اعتبرت عاهرة... وربما وصل الأمر بأهلها- إذا علموا بذلك إلى منعها من الخروج من البيت مرة أخرى...كان هذا قبل أن تأتي أنت ومن تبعكم من جيرانكم...

صار أمرا عاديا ومألوفا أن ترى بعد ذلك السيقان العارية تسير متبخترة متراقصة فوق طرقات القرية، وبدأت بنات المدارس في قريتنا... تقصرن ملابسهن... لكن لم تصل إلى الركبة... أو إلى فوق الركبة مثلما كنتن ترتدين... فقط وصل إلى قبيل الركبة بعشرين سنتيمترا... وقالت البنات لأهلهن إنه حشمة (موضة) اسمه (الميدي جب)... مع الأيام اقتنع الأهل بأن هذا (الميدي جب) ليس عيبا، بالقياس لبنات المهاجرين اللاتي يلبسن (الميني جب)... ولكن يبدو أن سيقان بنات قريتي السمراء النحيلة كساقي الماعز لم تنجح في جذب الأنظار وشد الانتباه، كما فعلت بنا سيقان المهاجرات وأنت أجملهن... لذا بدأت كل واحدة يوما بعد يوم ترفع عن ساقيها شيئا فشيئا ... حتى صارت سيقان بنات قريتي أكثر سمرة، بسبب احتراقها بأشعة الشمس...ولكن على أي حال بقي لديهن قليلا من الحياء... فلم تفكر واحدة منهن في أن تلبس (الميني جوب)... ووجدتها مناسبة أن أطلب منك وأنا منفعل هكذا – كشرط تبرهنين به على حبك لي أن تقلعي تماما عن هذا اللبس القصير... وهكذا قررت أن أكون رجلك وزوجك من الآن... لن يكشف عن الحب الحقيقي للفتاة غير الاستجابة

الفورية لطلبات حبيبها... لا تجد غضاضة في تنفيذ أوامـوه... بل إنها تستشعر سعادة في ذلك... ولحقت هذا القرار بقــــرار آخر وأنا أتميز من الغيظ...في حال عدم استجابتك لأمري فـــي هذا الموضوع... سأقطع علاقتي بك فورا .

أخيرا عثرت عليك عند أخت حسنين لكن ما أن رأيتـــك حتى... عانقت قلبي ابتسامتك الساحرة... ملمس كفك الخملـي الذي احتضن يدي وأرسل في كل أعضاء جسدي مــــا يشـبه الخدر والرعشة الكهربية... كل ذلك جعلني أنسي كل قراراتـي الحاسمة السابقة... في غمزة عينك لي تبخرت كل الانفعــالات من صدري المتأجج... لم يعد قلبي ذلك المرجل المضطرم!!... بقوة سحرك صار بردا وسلاما!!... غادرت ملامـــح وجـــهي الكآبة والاصفرار!!... شعرت بتورده وباندفاع دمي الرائق إلى كل بشرتي... لم نتوقف ليلتها عن الضحك معا ... أنا وأنـــت وحسنين وأخته كنت أفتعل الحكايـــات وتقليـد اداء الآخريـــن لنضحك... كأنني كنت أهرب بهذا الضحك من المأســـاة التـــي عشتها الليلة في بيتي، التي استولت علي تماما ... في نوبـــة شرود سريعة صفعني سؤال عنيد ((ألم تأت إلى هنـــا بحثـــا

عنها، لكي تواجهها بأشياء كثيرة أهمها... مـــدى إخلاصـــها لك؟!!...))... في الحال طردت هذا الوســـواس العنيـد عــن تفكيري... وأوعزت إلى نفسي بأن الإخلاص لا يحتـــاج إلـــى دليل... وأن هذا المرح الذي يهز بدنها الفتي المقبـــل علـــى الحياة... وأن تلك السعادة التي تشع بها أجمل عيني فتاة لـــهو أكبر دليل على مدى إخلاصها لي.. و إنه من الأفضل لي و لها عدم تعكير صفو المياه البلورية الرائقة... و إذا كان و لابـــد من السؤال للاطمئنان، فيستحسن أن يكون في خطاب... حتـى لا يكون هناك أي حرج... بل حملني تفكيري بعد ذلـــك إلـــى تبرير ذلك الانفعال العاتي عليك.. وأكدت لنفسي أن الانفعـــال في الحقيقة لم يكن عليك أنت... ولكن كان على أمي وأخي بل وعلى ظروف الهزيمة التي نعيشها... ولم يكـــن الشـــك فـــي إخلاصك لي... بل كان شكا في إخلاص أمي لأبي بعـــد هـــذا العمر الطويل، أو قد يكون رد فعل مباشر لفقدان الثقـــة فـــي السياسيين والعسكريين والإعلاميين الذين كذبوا علينـــا قبـــل الحرب وكشفتهم الهزيمة النكراء التي سحقت جيشـــنا؛ ممـــا جعل الشك فيهم يحل محل الثقة العمياء التي كنا نوليها لـــهم من قبل... استراحت نفسي بالطبع إلى هذه التبريرات... وبذلك

عدت إلى بيتنا ليلتها، وأنا نظيف من أي حنق أو حتى عتـــاب عليك... رجعت وأنا أحمل أمي والظروف المحيطة وحدهما كل ما شملني الليلة من هــم وتعاســة. هكــذا أنــا دائمـــا... أو بالأحرى... كنت كذلك دائما معك وفي مواجـــهتك... طريـــا لينا... صافحا عن كل أخطائك... متلمسا لكل الأعذار التـــي تبرئ ساحتك... كنت واقعا تحت تأثير ســـحرك الطـــاغي... راضخا تحت سلطان عشقي الباغي... لكن حمدا لله... لم أعد كذلك... أنا الآن أشعر بأني أمتلك كل حريتي ... أسيطر علـــى كل تفكيري وقراراتي... حتى ولو غرزت سهام عينيـــك فـــي تجاويف قلبي ولم تنزعيها، حتى ولو انهمرت فـــوق وجـــهي قبلاتك الملتهبة المتوسلة، حتى لو سكبت حنجرتك في أذنـــي أطنانا من كلمات العشق والحب الحارة بصوتـــك الشـــهواني النبرات، وأستطيع أن أثبت لك ذلك لو جمعتنا الصدفـــة معـــا ذات يوم.

يبدو أن أبي فضل -بعد الاستخارة- أن يمـــوت كرجـــل شريف... فقبل الموعد المضروب بينه وبين المأذون الأفاق... استيقظت فزعا على صراخ أمي... وهي تخبرنا ((لقد كـــان

بكامل صحته وعافيته، عندما نام في أول الليــل... لــم يكــن يشكو من أي ألم... بل أكثر من ذلك طلب مني أن يفطر فــي الصباح فتة عدس مع البصل الأخضر... وعندما قلت لـــه إن هذه الأكلة من أكلات الشتاء... ونحن الآن في فصل الصيف... رد علي بأنها كلها أيام ربنا... وأنه لا أحد يضمن لنفســه أن يعيش إلى فصل الشتاء... وعندما عتبت عليه لأنه يردد مثــل هذا القول المتشائم –وكأنه قد كشف عنه الحجاب– رد علــي بحسرة وبإيمان شديد... وهل سأكون أغلى على الموت مــن شباب مصر الذين استشهدوا في سيناء بلا ثمــن؟!!)) كــانت تقص ذلك وهي تولول وتندب حظها العاثر ((الولد رسب فــي الثانوية العامة وزوجي يموت في شهر واحــد!!!...)) بكيــت كثيرا في حجرتي قبل أن ندفن أبي وبعد دفنه... كان دافعــي للبكاء أقوى من أي فرد آخر في أسرتي...لأول مــرة أشــعر بأني صرت في الحياة وحيدا ... رغم أن أبي لم يكــن –فــي الأيام الأخيرة– العنصر الفعال في تربيتي... بعد أن تربع أخــي بمساعدة أمي على عرش سلطة الأمر والنهي في بيتنــا... إلا أن وجود أبي في البيت، كان بمثابة الدرع الواقي لــي عنــد الحاجة... وخاصة بعد سماعي لهذا الحــوار الــذي دار فــي

حجرتهما منذ يومين... ومضـــات مـــن الشـــك مرقـــت فـــي
خاطري... لكني استبعدتها... فلا يمكن... ولا يجب أن أشـــك
ولو للحظة واحدة في أن أخي وأمي كانا لـــهما أي دور مـــن
قريب أو من بعيد في وفاته... لكني كنت متأكدا فـــي الوقـــت
نفسه أن أبي لن يوافق على مسألة الطلاق الصـــوري، التـــي
يلح عليها أخي وتتحمس لها أمي... وأعتقد أن أبي مر فـــي
خلال الساعات الفائتة، والتي سبقت وفاتـــه بمعانـــاة نفســـية
رهيبة... كنت ألمحها في نظرات عينيه المنكسة الحزينـــة...
كنت أسمعها كذلك في تنهداته المتواصلة المصحوبة بذكـر الله
وتوحيده... وكذلك صمته البائس على غير عادته... ويبدو أن
ذلك كان رد فعل طبيعي على تكشيرة أمي في وجهـــه، وكـــذا
تجاهلها لندائه لها طالبا منها الشراب أو الطعام... وإذا ألـــح
في النداء... قذفته ببعض العبارات النارية فـــي ثيـــاب شـــبه
مهذبة ((ألا تنتظر حتى أفرغ مما في يدي؟!!... ألم يعد لديـــك
صبر مثل الأطفال؟!!))... كان ذلك بمثابة التلويـــح لـــه بمـــا
سيلقى من معاملة وإهمال إذا ما رفض الموافقة على الطـــلاق
الصوري... كانت تلك طريقة من طرق الضغط على أبي لكـــي
يقبل برأيهم، وينقذ أخي الدكتور من ضياع مستقبله العلمي إذا

ما دخل الجيش في مثل هذه الأيام السوداء الغامضة، والتي لا يعرف أحد من داخلي الجيش متى سيخرج منــــه... وأخــذوا يرددون المثل ((داخله مفقود وخارجه مولود)).

ومما ضاعف حزني وبكائي، مصيبة رسوبي التي أخــذت أمي تولول بها في حضور نساء القرية المعزيات... أحسســت أنها أرادت أن تستثمر هي الأخرى مصيبة رســوبي... إنــها تريد أن تبعد عيون الناس الحاسدة عن ابنها الدكتور سامي... لذا أرادت أن تلقي في عيونهن بكل مصائبها مرة واحــــدة... حتى تعميهن عن النظر إلى الدكتور... زاد إحساسي بـــالوحدة والامتعاض... لو كان أبي موجودا لمنعها من ترديد مصيبـــة رسوبي... لكنه مات... رفض أن يعيش ذليلا مهزوز المكانـــة في بيته... رفض أن يجبر على شيء غير مقتنع به... رفـض أن يكون لعبة في أيدي زوجته وابنه في آخر أيـــام حياتـــه... مات ليريحهم... حتى تتمكن أمه من تأجيل تجنيد ابنها؛ لأنـــه سيكون العائل لأمه الأرملة ولأخيه، الطالب الفاشـــل... نفــس الهدف من الطلاق الصوري يتحقـــق لـــهما، ولكـــن بطريقـــة نظيفة... خالية من الكذب والتزوير بالرغم من الدموع الكثيرة

التي سالت على خدي سامي ،عندما كان يتقبل العزاء، سـواء في المقابر أو في الدوار... إلا أن مسحة من الارتياح كـانت تغافله، وتطفو على ملامح وجهه، وكان سرعان ما يخفيـها كلما رآني أحدق في وجهه، في الحقيقة كنت أداوم على النظر إلى وجهه لكي أستشف هذه الراحة... هو يعتقد أنني لا أعرف شيئا عما تم بين ثلاثتهم في غرفة نوم أبي منـذ ليلتيـن... ولقد تركتهم -متعمدا- يجهلون أني أعرف أي شيء عن هـذا الموضوع... أدركت أن أخي قد خمن في نفسه، أنني تسـللت في غفلة منه إلى أعماقه، ووقفت على مشاعر الراحة التـي يخبئها في كهوف نفسه الغائرة... فلقد كان يقترب مني بيـن وقت وآخر، أثناء وقوفي إلى جواره، لتقبل العـزاء، ويربـت على كتفي في عطف كنت أرفضه بيني وبين نفسـي... كـان يهمس في أذني مطمئنا ((إن أباك لم يمت... سـأكون أبـاك وأخاك... لا تحمل للدنيا هما مادمت أنا على قيد الحيـاة))... لم أكن أجيبه بكلمة واحدة... فقط كنت أتذكر أبي، وخيبتـي، وخبثهما... فأنفجر في بكـاء ملتـاع... فيسـارع المعـزون بتذكيري بفوائد الصبر واحتمال المصائب... وكيف أن ذلك لـه أجر كبير جدا عند الله ((وبشر الصابرين)) مضى اليوم الأول

من الوفاة دون أن أراك... ولكن ما إن انتهى العزاء، وعدت إلى البيت مهدودا منهارا وخاصة... أنني فقدت شهيتي تماما، ولم أستطع تذوق أي طعام... وجدت أمي وأخواتي البنات وبعض أطفالهن، كانت الملابس السوداء هي الملابس الوحيدة التي يمكن أن يراها الإنسان، والخدود الحمراء الملتهبة من هول البكاء واللطم، والعيون المحمرة، والحناجر المحشرجة تبح بحا متقطعا ، بعد أن كلت طوال النهار من الصراخ على المرحوم أبي، الذي فارقنا فجأة لم يمرض... لم يثقل على أحد... لكن أمي كانت تتأوه وتتحسر وتلوم نفسها، لأنها لم تستجب لطلبه في الحال، ولم تعد له فتة العدس مع البصل في المساء.

لو كانت تعلم الغيب لنهضت من فورها، وجعلته يتعشى من فته العدس وأكدت لنا جميعا أنها مهما عاشت سيظل ينغص عليها حياتها أن أبي مات دون أن يأكل فتة العدس التي اشتهاها... بيني وبين نفسي تعجبت من كلامها هذا؛ لأني كنت متيقنا أو على الأقل شبه متيقن من أنها – كعادتها– زجرته بجفاء عندما طلب منها هذا، وربما يكون هذا هو السبب الحقيقي في وفاة أبي، طعنته في عزة نفسه

فتوقف قلبه، وربما يكون هذا هو السبب في عذابها، وتخشى أن تصرح به لأحد، إن إحساسها بالذنب هو الـــذي يجعلـــها تتكلم كثيرا بمناسبة وبدون مناسبة عن فته العدس... لذا لـم أعبأ بكلامها كثيرا كما فعل باقي أخوتي، وطيبوا خاطرهـا... لكنني نفضت ثيابي متضايقا ، ونهضت متوجها إلى حجرتـــي لكي أنام لكن أمي صاحت في إثري... ((لا تنم يا حبيبـي دون أن تتناول عشاءك))... لم أرد عليها... واصلت تقدمي نحـــو باب حجرتي ودفعته بقدمي، فأحدث ضجيجا تعمدته، كوسيلة سريعة للتعبير عن استنكار كل ما أعرفه وأخفيه... أخواتـــي البنات الثلاث كن أكثر شفقة بي من أخي، فلقــد مصمصـن بشفاههن في حسرة وألم، وقالت إحداهن بصوت متهدج ((في الحقيقة لم يقطع موت المرحـــوم أبـي إلا بـأخي الأصغـر حسين... كان يحبه جدا ... كان في حاجة إليه)) ثم عـــاودت البكاء بصوت مسموع... وفاضت بإحداهن الشفقة فلحقت بي في حجرتي... كانت تكفكف دمعها، بينما كانت توسع لنفســها مكانا على حافة سريري الذي ألقيت عليه جسدي المنــهك... ثم همست إلي من بين نشيجها ((الناس كلها ستنظر إليك الآن بعد وفاة والدك... لابد أن تثبت لكل القرية أنك رجل... تثبـت

لهم جميعا أن الحاج حسن القباني ترك من بعده رجلين، يجب ألا تقل عن أخيك الدكتور سامي... يجب أن يظل بيت أبينا مفتوحا ... لا تستسلم للحزن والبكاء مثل النساء والأطفال... لابد أن تواجه الحياة وتحقق رغبة أبيك... يجب أن تدخل الجامعة... يجب أن تنهض معي الآن وتتناول عشاءك))... تركتها... أدرت ظهري لوجهها... أحجمت كلية عن الكلام معها... فلقد فجرت بكلامها هذا كل دمامل الحقد الأزرق في قلبي على أخي سامي... هذا الذي يبهرهم بشخصيته الزائفة... كأن الحياة بالنسبة لهم هي الدراسة والتفوق الدراسي، لكن حكاية تهربه من الخدمة في القوات المسلحة، إلى حد ارتياحه لموت أبي، التي لا يعرفها أحد عنه غيري أنا... كأن القدر أراد أن يشقيني بهذا الموضوع... لو كنت جاهلا بشخصيته الحقيقية مثل الآخرين... لو كنت بقيت كالأعمى الذي كنته من قبل التنصت على الثلاثة المزورين وهم يحاصرون أبي... لكنت أعيش الآن في نعيم مقيم... لكن هذا التناقض الحاد بين ظاهره وما يخفيه يكاد يشطرني نصفين... والهم الأكبر أنني لن أستطيع مواجهة أحد بهذا الذي يغلي به مرجل قلبي... فكرت لحظتها أن أفضي به إلى

صديقي المخلص حسنين ابن الوقيعة... لكني لم آنس للفكرة، ستكون فضيحة لأخي... وربما يشم من خلال كلامي لــــه أن فشلي في الحصول على الثانوية العامة قد دفعني للحقد علـــى أقرب الناس إلي... لذلك فكرت في أن أهـــم بمقـــابلتك أنـــت للحديث معك فيما يمزقني... ولكني أدركت أن الوقت متـــأخر الآن... لقد تجاوز نصف الليل بساعة تقريبا ... لذلك أجلـــت رغبتي تلك حتى الصباح... سأذهب إلى بيت حسنين وحتمـــا ستأتين إلى هناك... وتوقعت أن لقائي بك ســـيكون حزينـــا، سنقضيه معا في البكاء على أبي، وعلى حـــالي المؤلـــم... سأجدها فرصة مناسبة لكي أبثك آلامي وأحزانـــي... منيـــت نفسي بأنك ستكونين مثل البلسم الشافي لكل شقائي فيكفينـــي أن أرى نظرات الحزن في عينيك من أجلي لأتيقن أنني لســـت وحدي في هذا العالم بعد أبي... يكفي أن تقع عينـــي علـــى دمعات كبيرة تترقرق بين أهدابك الطويلة الجميلة؛ ليزول كـــل الهم عن صدري... لتمح عن قلبي كـــل أحزانـــي... شـــعرت براحة كبيرة لمجرد التفكير في كل ذلك... تخففت من معظـــم الكبت النفسي الذي أوشك أن يدمر قفصـــي الصـــدري منـــذ دقائق... لم أقاوم التهويمات التـــي أخـــذت تلاطـــف عقلـــي

وإدراكي... بل استسلمت لها سريعاً... وكل أملي أن أغمض عيني وأفتحهما لأجد أن الصباح الجديد قد فرد نوره علينا... وكما تذكرين تم اللقاء الذي نمت بالأمس حالماً به، ومشتاقاً إليه... لقيتك في بيت حسنين... وبدافع من إخلاصه ونبله معي تركنا وحدنا، وأغلق علينا الحجرة... ونكست رأسي في الأرض حزناً وركزت بأذني على فمك الذي سيواسيني بكلمات حزينة متأثرة لمصيبتي... وطال انتظاري... وطال صمتك... مما جعلني أرفع عيني ببطء إليك متسائلاً لماذا هذا الصمت الطويل؟!!... وهل جئنا إلى هنا لنسكت؟!!... ولكني صعقت عندما رأيتك تضعين يدك على شفتيك محاولة بكل جهدك أن تحولي دون خروج ضحكة عنيدة... لم يطل سيطرتك على نفسك إذ انفجرت ضاحكة... ثم نهضت للجلوس بجواري لكي تهمسي لي في أذني من بين موجات ضحكك المتلاحقة ((شكلك وأنت حزين يثير الضحك ... صدقني مثلك لا يصلح للحزن...)) وكأنك ألقيت بي من سفينة فضاء... ضعت فجأة... فقدت كل اتجاهاتي... سيطرت علي حالة مكثفة من الدهشة لتصرفك الصبياني هذا... أ أنت ملاذي المخلص الذي تمنيت أن ألتقي به في ساعة العسرة؟!!... كم خدعت

نفسي!!... لم أرد عليك بأية كلمة... ابتلعت المرارة المركـزة مع لعابي الجاف... خيبة أمل جديدة تضاف إلى آمالي التــي خابت كلها... شعرت بك لحظتها جوالاً مكدســاً بالأشــواك، عندما اقتربت من جسدي أكثر إلى حد الالتصـاق الكـامل... غشيتني حالة نفور منك... بتلقائية لم أعد لها انتفض جسدي مبتعداً عنك... حتى المكان الذي نجلس فيه ليس له أية حرمة أو احترام عندك؟!!... ويبدو أنك لم تيأسي مـن استسـلامي لك... عاودت الزحف إلى جواري حتى أصبحت قريبة منــي، لدرجة كنت أشعر بنيران جسدك الفوار المتـأجج توشـك أن تحرق جسدي... لكني لم أكن فــي الحالــة النفســية التــي تساعدني على تحمل أي مزاح أو غزل أو مداعبــة... لذلــك فجرت كل غضبي عليك بسؤال قديم، كنت قد عجــزت عـن توجيهه لك من قبل... لقد كنت في وضع الثائر المنتقم... لـم أعبأ بأية قسوة تخرج مع كلامي... بل إني في حقيقة الأمــر كنت أتمنى أن أقسو عليك، وأن أسبب لك بعضاً مما أشعر بـه من حنق وتمزق... لذا ذبحتك بسؤال مباشر... دون مراوغـة مني ((هل لك تجربــة ســابقة فــي ممارســة الحـب مــع الآخرين؟...)) أعددت نفسي قبل السؤال لكي أكون قاســياً...

وقررت ألا أرحم دموعك التي ستتدفق عندما أطعنـــك بـــهذا السؤال الفج... لكني للأسف... لم أجد علـــى وجـــهك غـــير المزيد من الرضا والضحك، ثم همست لي بســؤال ضـــايقني ((هل تشعر بالغيرة علي يا حبيبي؟!!)) لم أجب عن سؤالك... في الحقيقة لم أتوقعه... ولذا لم أجد في ذهني ما أجيب به... بقيت صامتا لفترة مما جعل ابتسامتك تـــزداد اتســـاعا، ثـــم أضفت موضحة كخبيرة لتلميذ محدود الذكاء ((إن شكك هـــذا، دليل قوي على حبك لي...)). قاطعتك بعصبية حاسمة ((كيـــف عرفت أن قبلة اللسان تسحب الروح من الجسد؟!!... أليـــس هذا دليلا قويا على أنك مارست ذلك مع آخرين قبلي؟!!...)).

وكم كانت نشـــوتي وفرحتـــي عندمـــا رأيـــت وجومـــك المفاجيء، وحملقة عينيك المذهولتين... ثم انفجارك الذليـــل الباكي... كان تدفق دموع عينيك يبعث الراحة فـــي صـــدري الضيق... أحسست بلذة الانتقام... لم أرحمك لحظتـــها، بـــل استمرأت بهجتي التي شرعت تمســـح أحزانـــي المتراكمـــة بسببك، وبسبب الآخرين، فعاجلتك قائلا ((إن دموعك لن تؤثر في أبدا ... أريد إجابة فورية عن سؤالي... مع مـــن قبلـــي

مارست قبلة اللسان هذه)) ومن بين دموعــك أقســمت لــي بحياتي -لأني أغلى من لك في هذه الحياة- بأنك لم تمارســي ذلك مع أحد غيري... وإنها المرة الأولى... وأن معرفتك بــها تمت عن طريق صديقة لك تزوجت، وكانت ثرثـــارة، كــانت تحكي لك عن كل ما يتم بينها وبين زوجها... وكلمتك كثــيرا عن قبلة اللسان... وأنك -ولأني أغلى إنسان فــي حيــاتك- جربتها معي لأول مرة.

صدقتك... لكن بالضبط لماذا صدقتــك؟... هــل لأن ردك كان معقولا ومتماشيا مع المنطق؟ هل لأنني كــانت تســكنني رغبة قوية في أن أصدقك؟... هل لأني حققت رغبتي بالانتقام منك وجرح مشاعرك وشفيت صدري؟... ربما لأنني لم أعــد بقادر على تركك والتخلي عنك... لقد صرت قطعة مني... لقد صرت لي بمثابة الروح... فلا حياة لي بدونك... ومن أجلــك أتحدى العالم وكان أول هذا العالم هو أخي الأكــبر ســامي... عندما جلس معي بعد وفاة أبي بأكثر من أسبوعين وصارحني بجد ودون مواربة ((أنت مقبــل بعــد أســابيع علــى ســنة حاسمة... ستعيد الثانوية العامة... لا يجب أن تكرر مأســـاة

رسوبك مرة أخرى... لذا يجب عليك أن تقلع عن لعب العيال هذا!... وتبتعد عن بنت المهاجرين...)) كانت لحظة صعبة بالنسبة لي... سقطت في قلب الحيرة نفسها... ماذا أقول له؟... هل أنفي ما قاله، وأقسم له بأنه لا يوجد بيني وبينك أية علاقة؟... كذبة بيضاء لن تضر... لكنه لم يسألني إن كانت هناك علاقة بيني وبينك أم لا... وهذا يؤكد أنه ليس بحاجة إلى معرفة... لأنه يعرف كل شيء.

لذلك لم أجد فوق لساني لحظتها غير سؤال موزع بين الإنكار والخجل ((من قال لك هذا؟!!)) فوجئت به يقول مؤكدا بأن كل البلد تعرف كل شئ عن مقابلاتك لها في الغيط ليلا... كما يتحدثون عن لقاءاتكم الشبه منتظمة عند حسنين ابن الوقيعة... وتعجب لأنني من السذاجة والبلاهة لدرجة أنني أوقعت نفسي في حب مهاجرة... لا نعرف أصلها... ثم واصل هجومه حتى قال بغيظ واستهجان... ((إن هذا الصنف من البنات لا يعرف الحب الحقيقي... إنها بائعة هوى لمن يشترى...)) لم أتحمل منه أكثر من ذلك، لقد مار داخلي وفار بآلاف المشاعر والأحاسيس الغاضبة اللاهثة... تذكرت أخلاقه

الحقيقية التي يخفيها علي... أكبرت علي عزة نفسي أن يسب المرأة التي ستكون زوجتي في يوم من الأيام، دون أن أدافع عنها... أحسست بأذني وقد سرى بهما السعير... لم أعد أحتمل منه سماع المزيد من طعنه فيك، لذا فاجأته صارخا في وجهه بطريقة أرعبته، وجعلته يجفل ويرتد إلى الخلف ((كفاك طعنا في أعراض الشرفاء... أنت لا تقبل أن يطعن أحد في شرف إحدى أخواتك البنات... ما ذنبهم؟!!... هل ذنبهم أنهم هاجروا من بيوتهم مضطرين أمام ضرب مدافع اليهود؟!!... كان من الممكن أن نكون نحن مثلهم، لو كنا نقيم في إحدى مدن القناة... هل كنت ستسمح لأحد أن يقول عليك مثلما تقول عليها الآن... إنهم أناس مثلنا... ولهم أصل مثلنا... لكن...)) وتوقفت عن اندفاعي... أمسكت بزمام لساني الذي جمح بالرغم عني، وتحدى أخي الأكبر من أجلك... كنت على وشك أن أقول له إنه إنسان يشعر بالغيرة مني ويحقد علي مثلما حقد قابيل على هابيل... لأنك تحبينني -وأنت أجمل فتاة حلت بقريتنا- وتركت الآخرين... وأنه يتعمد دائما أن يدير كل الأمور لصالحه... كنت على وشك أن أصارحه بأنني أعرف كل شيء عما كان ينتويه هو وأمي من

تزوير قسيمة طلاق، حتى يهرب من التجنيد... كنت على وشك أن أخرج كل ما أواريه وأكمده في صدري من حزن على أبي، ذلك الإنسان الشريف الحر، الذي مات كمدا بسببهم... أوشكت أن أوجه إليه إصبع الاتهام في جريمة موت أبي... لكنني توقفت في اللحظة الأخيرة... أدركت أنني قد أنزلق رويدا إلى حافة الجنون.

إني أشهد لأخي بالذكاء والحكمة... لأنه تصرف في الموقف الجنوني من جانبي بطريقة لم أتوقعها... فلقد توقعت منه أن يثور علي... أن يغضب وينفعل أو يسمعني كلاما يجرح مشاعري، ويذكرني برسوبي أو يصفني بالاستهتار والإهمال وعدم الإحساس بالمسئولية... أو قد يصل إلى مد يده علي وضربي... فهو الآن في حكم أبي، ومن حقه تهذيبي وتربيتي... لكنني دهشت عندما نهض من أمامي مبتسما ابتسامة كاذبة ... انسحب بعيدا عني، ولم ينطق بكلمة واحدة... ويبدو أنه أدرك أنني لست في حالة طبيعية... تركني مع نفسي، أعيد على ذهني كل ما أمكنني تذكره مما قلته له... أحسست بالحرج... أدركت أنني قد تجاوزت

حدودي معه... أدركت أنني أمـــر بظــروف نفســية بالغــة السوء... ومع أني كنت أشعر تجاهه ببغض حقيقـــي عندمـــا انفجرت فيه، إلا أن منظره المرتبك الحــــائر فـــي مواجهـــة عصبيتي وانفعالي، وتصرفه السلبي معـــي جعلانـــي أشـــعر تجاهه بشيء من العطف، ولكن مع ذلك بقى فــــي أعمـــاقي الكثير والكثير من التحدي له ربما كان بسبب ما ترسب فــــي عقلي وما يكبته اللاشعور عندي من انتصاره هو وأمي علـــى المرحوم أبي.

لم يكلمني بعدها أحد في البيت، أمي كانت تتابع ملامـــح وجهي من بعيد وفي غفلة مني... لم تكن ترفع عينيها مـــن فوق وجهي، إلا إذا أحســـت بـــأني علـــى وشـــك أن أنظـــر إليها...كانت تسارع بشغل عينيها بالنظر إلى أي شيء آخر... أحسست أني مراقب طوال الوقت الذي أكون موجودا فيه في البيت...لكن هذا الشعور أفعم نفسي بالضيق... أخي الأكبر في الأيام التالية كان يتحاشى لقائي... كان يقضي معظم وقتـــه خارج البيت... لكنني كنت متأكدا أنه أخبر أمي بكل ما جرى وكنت متأكدا أيضا بأنهما دبرا لي أمرا ... لكن ما هو هـــذا

الأمر؟... فهذا هو ما بث في نفسي القلق والتوتـــر أكـــثر...
كنت أتمنى أن تفاتحني أمي فيما وقــــع بينــــي وبيـــن أخـــي
الأكبر... لكنها لم تفعل... كنت أعد لها الإجابة التي ســأوضح
فيها السبب الذي جعلني أتطاول على الدكتـــور لأول مـــرة...
كنت أيضا أنوي، وأخطط لكي أضمها لصفـــــي... فكـــرت أن
أكسب عطفها علي، أو تعاطفها معي... لا لشيء إلا من أجـــل
عيونك أنت... لأنني –وبالرغم من الظـــروف التـــي تتفجـــر
بالتعاسة من حولي -- كنت قد فكرت في أن آخذ أمي معـــــي،
وأخطبك ((ولم لا؟)) هكذا أقنعت نفسي بسهولة وبســـــاطة...
مجرد خطبة لنقطع ألسنة من يتكلم عن حبنا فــــي القريـــة...
مجرد خطبة تجعل من حقي الدخول إلى بيتكم في أي وقـــت...
والسير معك أمام الجميع... بل فكرت في خطة أكثر خبثــــا...
حيث أنني أعلم مدى احتياج أخي إلى دخولي مدرسة حكومية
لأعيد السنة الدراسية... حتى يتمكن من تأجيل تجنيده لحيـــن
تخرجي من الجامعة... لذا قررت أن أمسكهما مـــــن يديـــهما
اللتين توجعانهما... وأضع العقدة أمام المنشار... لذا ســـأجعل
خطبتي منك هو الشرط الوحيد لكي أكمل تعليمي في مدرســـــة
حكومية... أو لكي أعيد السنة... ولقـــد تفتـــق ذهنـــي عـــن

ضرورة تهديدهما في حالة عدم استجابتهما لرغبتي في التطوع في الجيش براسب ثانوية عامة... شعرت بقشعريرة تسري في بدني عندما وصلت إلى هذه الفكرة ((أمعقول المهندس حسين بن الحاج حسن القباني يتطوع في الجيش براسب الثانوية العامة؟!!... أخي الدكتور يحترق تفكيرا في الطريقة التي يهرب بها من التجنيد... وأنا أذهب إليه متطوعا؟!!... أضيع كل مستقبلي؟!!)) لكن هاتفا داخليا استغل روح العناد التي شبت في أعماقي، وتأججت منذ أن أهانك أخي بكلامه لي... أقنعت نفسي بأن هذا لن يحدث أبدا... إنه مجرد تهديد... لكن في النهاية سأكمل دراستي، وأعيد السنة.

لم أنتظر حتى تنضج الأمور... فقبل أن أتكلم مع أسرتي... وقبل أن أفتح الموضوع مع أمي أو أخي الأكبر في ضرورة خطبتي لك... أسرعت إليك لأبشرك وأفرحك... أكدت لك أنني سآتي لخطبتك خلال أسبوع... في الحقيقة كنت واثقا تمام الثقة من نجاح خطتي معهما... وفرحت أنت، ولم تفضلي الفرحة بمفردك، بل أسرعت وأخبرت أهلك وصديقاتك في القرية... وقبل أن تغرب شمس اليوم الذي قابلتك في بيت

حسنين، كان الخبر قد اندفع اندفاع العواصف مقتحما كل بيوت القرية... أثار الفزع في نفوس كل أهل القرية... رددوا مستنكرين ((ابن القباني يتزوج من مهاجرة؟!!... هل هذا معقول؟!! علمنا أنه كان يقابلها ويذهب معها في الليل إلى الحقول... وقلنا لا بأس، شاب طائش مع بنت قليلة الأدب... وما دام الأمر بعيدا عن بنات قريتنا فليس في ذلك ما يفزع... لكن مجرد التفكير في الزواج من مهاجرة كارثة... أهي قلة بنات في القرية؟!!)).

وفوجئت بإحدى أخواتي البنات تقتحم البيت مندفعة كالمجنونة، تنادي أمها وهي تنتحب... كأن أباها لم يمت إلا اليوم فقط... لم تنتظر حتى تأتي أمي من الداخل... بل صرخت في وجهي ملتاعة مستنكرة ((هل ما ترردده القرية صحيح يا باشمهندس حسين يا بن الحاج حسن القباني؟!!... هل حقا ستخطب وتتزوج البنت المهاجرة التي تصبغ شعرها ووجهها وتعري جسمها وتترقص أمام الجميع وتقف مع كل واحد شوية؟!!))... لم تعطيني الفرصة لكي أجيب، حيث أنها انفجرت في بكاء متواصل، وهي تنادي أبي بحرقة حقيقية

ليستيقظ من قبره... ليرى خلفه الصالح، الذي يريد أن يسيء إلى سمعته وشرفه، ويتزوج الراقصة... كانت أمي قد أقبلت من داخل البيت، وفي يدها الإناء الذي تضع فيه طعام الدجاج، بيد أنها لم تكمل إلقاء كل الحبوب... أتت مسرعة مأخوذة بصراخ أختي... لكنها لم تشأ أن تتسرع وتصدر حكما كما فعلت أختي... فلقد اقتربت مني، وأشارت إلى أختي بالكف عن استرسالها في الصراخ والعويل، حتى تفهم الأمر على حقيقته... هدأت أختي، ولكن جسدها كان ينتفض... كأن عقربا قد لدغها... في الحقيقة تملكتني الدهشة لكل هذا الفزع والذعر الذي تفيض به كل العيون من حولي، أمي وأختي حتى أخي الأكبر الذي حضر هو الآخر... هكذا وجدت نفسي فجأة عاريا ، وفي مواجهة أفواه التماسيح... لم تكن هناك أية فرصة للتراجع... بل في الحقيقة رأيتها فرصتي المناسبة التي هيأتها لي الأقدار كي أضرب ضربتي، وأنفذ خطتي فرددت على أخي الذي نحى أمي وأختي وتقدم هو مستفسوا في ثبات ((ما مدى صحة هذا الكلام يا حسين؟)) لم أتأخر في التفكير أو الرد، بل قلت بشيء من الانفعال، والتصميم المتشنج ((كل هذا الكلام صحيح... لقد قررت أن أخطبها))

وما كدت أصرخ بذلك حتى ضربت أمي بيدها على صدرها في هلع، وصرخت ((هل جننت يا ولد؟!!... لم أصدق مـــا قالـــه أخوك الدكتور عن جنونك... لكن الآن تـــأكدت بـــأن مكـــانك الحقيقي هو مستشفى المجانين... هل من عاقل يفكر فـــي أن يتزوج من بنات المهاجرين؟!!... يا مصيبتك يا قبـــاني فـــي قبرك... لكن ماذا أقول؟... كل هذا بسبب تدليله لك... وهـــذه النتيجـــة... تريـــد أن تضـــع رأس العائلـــة فـــي العـــار والطين؟!!...)) عند ذلك لـــم أتمكـــن مـــن الســـيطرة علـــى انفعالي... فلقد تذكرت أبي الـــذي مـــات بســـببهم وشـــعرت بكرامتي تجرح من جديد، وهي تسيء إلى الفتاة التي أحبها، والتي أنوي الزواج منها... وأحسســـت أننـــي أقـــف وســـط مجموعة من المنافقين... كلهم يتهمون المـــهاجرين بســـوء الخلق وعدم الشرف... وهم في الحقيقة، ليسوا بعيدين عـــن ذلك بكثير... أدركت بكراهية واشمئزاز أن عقدة الإسقاط هـــي التي تتحكم فيهم جميعا... لأنهم يتهربون من واجب الخدمـــة العسكرية ولو بالتزوير... لأن أبي مات مكبوتا منهم... أختـــي هذه التي تتكلم عن بنات المهاجرات والرقص... أتذكر أن أبي منذ عشر سنوات... وقبل أن تتزوج ضربها علقة لأنه رآهـــا

تجلس مع أحد شباب البلد في مكان غير مناسب... فكرت أن أفتح عليهم مدفعي المعبأ بفضائحهم... فكرت أن أمسك بالمرآة العاكسة النقية، وأضعها في وجه كل واحد منهم، ليرى نفسه على حقيقتها... فربما كف عن إمطار المهاجرة بوابل لعناته واتهاماته... لكنني قلت لنفسي ((لست في حاجة الآن لكي أفتح جبهة جديدة... وأقرب الطرق هو الطريق المستقيم)) لذا عدت وتمالكت أعصابي من جديد وقلت بثبات وتشنج أكثر ((لو لم تساعداني على خطبتها على الأقل... سأذهب في الحال وأتطوع في الجيش براسب ثانوية عامة... كي أعتمد على نفسي ماديا وأتزوجها... لن أتزوج غيرها)).

بالطبع كان كلامي موجها أساسا لمن يعي خلفيته، وهما أخي الأكبر وأمي... حاول أخي أن يوقف سيل العويل والبكاء الذي عاد إلى بيتنا بصورة أكثر حرقة ومرارة من اليوم الذي مات فيه أبي... أحسست بسعادة لأن اليوم هو يوم الاحتفال بموتي أنا... لم أعبأ بما أرى... لكن أسعدني رؤية وجه أخي سامي الذي استحال إلى ليمونة صفراء... كما إنه لم يستطع أن يحتفظ بهيبته المصطنعة، وبدا واضحا عليه التوتر والهلع

والارتباك... وتسارعت أنفاسه بصورة ملفتة للنظر... شملني على إثر رؤيتي لمنظره شعور عميق بالراحة... أحسست بهذا التحدي في أعماقي يزداد عنادا ونموا... يوشك أن يتحول إلى مارد منعتق لا يقهر... وهنا كنت مستعدا لكي أناقشه مناقشة رجل لرجل... لو أهانني سأهينه... ولو أخطأ في حقي فلن أتردد في أن أخطئ في حقه في الحال، لكنه لم يفعل معي -للمرة الثانية- شيئا من الذي توقعته... بل طلب من أمي وأختي نسيان هذا الموضوع تماما... وأنه سيحله بصورة ترضي جميع الأطراف... في أول الأمر أحسست منه بالضيق، عندما اصطحبني إلى غرفته مبتعدا بي عن آهات وبكاء وتأوهات أمي وأختي... كان يهدهد على كتفي كطفل تحاول أمه تنويمه... مما جعلني أبتعد عن متناول كفه التي يربت بها... اخترت مكانا في جلوسي بعيدا عنه... جلست قبالته... أعددت نفسي لنقاش عدائي ملتهب أخرج منه في النهاية منتصرا... حتى ولو كشفت كل أوراقي له، حتى لو احتاج الأمر إلى تعريته أمام نفسه... لن أتورع عن اتهامه بصراحة، دون تحرج، بأنه وأمه قد تسببا في مقتل أبي كمدا، لأنه رفض أن يلبي لهما رغبتها غير المشروعة... ((هل أنت

مقتنع بحسن اختيارك لها يا حسين كزوجة؟)) ســألني أخــي بجدية واحترام حقيقي أدهشني... حملقت في ملامح وجهــه فترة من الوقت محاولاً قراءة كل مـــا يخفيــه خلــف هــذه الكلمات... لكنه كان ثابتاً أصيب ببكم في الوجه والتضــاريس والنظرات... لم أستطع الخروج بأي شــعور، أو أيــة فكــرة معينة... لم يترك منظره في أعماقي غير الثقة الكاملــة فــي صدق سؤاله، وجديته لذا هززت رأسي هزات رأسية حــادة، من أعلى إلى أسفل محاولاً أن أوكــد لــه شــدة اقتنــاعي، وإصراري على ما أريد، وقلت بكلمة واحدة خرجــت كطلقــة مدفع ((جداً))، قال بنفس النبرات الحادة ((أنا لن أناقشك فــي مدى مناسبتها لك –ما دمت أنت مقتنعاً بها– لكن هناك عرفاً اجتماعياً لم يزل يحكم تصرفاتنا في القرية، سواء في أحزاننا، أو في أفراحنا... ولا يجب علينا أن نخالفه... ألست معي فــي ذلك؟)) سيطر علي عدم الفهم لما يقوله، فتساءلت بغضب بعد أن خمنت في اللحظة الأخيرة، قبل الســؤال أنــه ينــوي أن يتسرب إلى إفشال الموضوع من خلال التقاليد الاجتماعيــة، وأن تقاليد أسرتنا تحول دون الزواج مــن أنــاس غربــاء لا نعرفهم ولا نعرف أصلهم... فخرجت كلمــاتي حــادة ((مــاذا

تقصد بالضبط يا دكتور؟))، بالطبع قلت كلمة دكتـــور بقصـــد التهكم... اعتقد أنه فهم ما قصدته لأنه توقـــف عـــن كلامـــه لحظة، ابتلع فيها لعابه، وهز رأسه بأسف، ثم قـــال مقطـــب الجبين ((أعتقد أن أباك -رحمة الله عليـــه - يحتـــل مكانـــة محترمة في نفسك؟)). أجبته في الحـــال وبـــإخلاص شـــديد ((ليس في هذا أدنى شك)). قال بصوت هادئ وعميق ((أنـــت تعرف أن العرف الجاري عندنا أنه لا يجب التفكير في الزواج أو الخطبة في بيت المتوفى، وخاصة أصوله أو فروعه، قبـــل مرور أربعين يوماً كحد أدنى على وفاتـــه... وهـــذا بـــالطبع احتراماً لذكرى المتوفى... لذكرى أبيك أنت)) في الحال نكست وجهي في الأرض وحاولت أن أواري خجلي، الذي طفحت به ملامحي مرةً واحدةً، عندما تذكرت أن المرحوم أبي لم يمـــر على وفاته غير شهر واحد فقط... أدركت أنني تسرعت فـــي هذا الموضوع... لقد نجح أخي بالفعل في إلقائي في فم بحـــر هائج وعميق من الحرج والخجل، لدرجـــة أحسســـت معـــها بنبرات صوتي قد تبخرت، وتدفقت سيول من العرق الحـــارق من تحت إبطي وفي ظهري... وبقيت مدةً طويلـــة مطـــرق الرأس متسارع الأنفاس... لم تكن بي أية رغبة فـــي رفـــع

رأسي أو حتى النظر إلى وجهه؛ لأنني باختصار شديد لن أجد الكلمات المناسبة التي يمكن أن تبرر تسرعي هذا... يبدو أنه أدرك ما أمر به من أسف وخزي... لذلك لم يـــرد أن يقطـــع علي نوبة تأنيب الضمير المفاجئة... فهو يعرف جيدا مـــدى حبي للمرحوم والدي... لذا وبعبقرية يحسد عليـــها -عـــرف كيف يقضي على كل انفعالاتي المجنونـــة التـــي اســـتمرأت الركوب عليها؛ لكي أدهس كل من يحاول الوقوف في وجـــه رغبتي، تمكن من ذلك بطلقة واحـــدة مـــن غدارتـــه دقيقـــة التصويب، والفطنة إلى مكمن النبض والحياة.... وبعد الكثـــير من الصمت والارتباك والشرود، همست متلعثما؛ في محاولـــة للحفاظ على ماء وجهي ((لكن... من حيث المبدأ... هل لـــك أي اعتراض على الزواج فيما بعد؟)) رد في الحال مبتســـما كأنه تأكد من انتصاره، وسيطرته على جنوني ((أبدا أبدا ... لكن فقط... فلنؤجله للوقت المناسب)).

هدأت نفسي تماما بعد هذه الجلسة التي جلســـتها مـــع أخي... وعشت في أعماقي الكثير من المشاعر المتضاربـــة لأيام طويلة بعدها... فبينما شعرت بنشوة الانتصار لرغبتـــي

في إجبار أخي على الخضوع لتحقيق أمنيتي في الزواج منك... كان الإحساس بالعار ما زال يلازمني لأنني لم اختر الوقت المناسب لإعلان حبي للجميع، ولإعلان رغبتي القوية في الزواج منك قبل أن تجف دماء أبي في قبره -كما كانت تردد أمي-.

ابتلعتني الأيام التالية... لم يعد لي أي صبر على البعد عنك... وزففت لك نبأ موافقة أخي الدكتور على زواجنا... وطلبت مني أن اقابل أمك في بيتكم، لأنها تحب التعرف علي وغالبت خجلي وارتباكي، وذهبت إليها، وجلست معكم في غياب أبيك الذي كان لا يأتي إليكم إلا كل خميس وجمعة، لأنه لم يزل يداوم على الذهاب إلى عمله في المحافظة بانتظام بعد أن اطمأن على حياة أجسادكم بعيدا عن قصف اليهود. فوجئت بأن أمك أكثر خجلا مني... اكتشفت أنها سيدة طيبة جدا، وليست من نساء هذه الأيام... رحبت بي أكثر من مرة بحياء شديد... لم تزد عن الترحيب فقط ولم تسألني عن أي شيء آخر... لم أصدق أن هذه السيدة الخجولة جدا يمكن أن تكون أمك أنت!!... شتان بين الجرأة المطلقة منك، والحياء المطلق

منها. تعجبت لأنها كانت أكثر حياء وخجلا من أمي القروية... هتفت مستنكرا في أعماقي ((فليأت من يتهم المهاجرين بالفجور والإباحية، ليرى كيف يكون الحياء والاحتشام)) فقد كانت ملابسها تغطي كل جسدها... كانت بعيدة كل البعد عن التبرج ومن خلال حديثك في الجلسة لتحريك الموقف بيننا، حتى لا يبقى ساكنا مثل مياه البحيرة الراكدة، قلت إن والدتكم ريفية الأصل، ولم تغيرها المدينة أبدا... وطلبت منها أن تأتي لزيارة أمي في البيت لكنك رفضت أنت بكبرياء، مدعية بأن ((الأصول و الواجب يفرضان على أمك أن تكون هي البادئة بالزيارة.. أليست هي أم العريس؟!))... بل أكثر من ذلك طلبت أن يأتي أخي الدكتور لزيارة والدك يوم الخميس أو يوم الجمعة... ورأيت أن طلباتك لها وجاهتها... وأسرعت إلى أخي سامي أطلب منه أن يزور أباك يوم الخميس أو يوم الجمعة، قطب جبينه مستنكرا، ثم استدرك مبتسما ابتسامة لم اطمئن إليها، وقال: ((بالطبع سأزوره... لكن فقط أعطني فرصة أسبوع واحد لدي بعض الأعمال لا بد من إنجازها)).

كان أخي أكثر حنكة ومكرا من أمي... لأنها لم تتحمل أن أطلب منها ضرورة زيارتكم، فلقد انفجرت في وجهي كأنـــها برميل من البارود لامسته النار: ((إخرس يا فاشل... لـــو أن الذي يجري في عروق جسدك دم لما تجرأت على أن تقـــول ذلك...لو كنت بني آدم حساسا لما فكرت في مثل هذا... كـــان تفكيرك في مصيبتك... في كيفية الاستعداد للعام القادم... لكن أباك -الله يرحمه- هو الذي دللك وأوصلك إلى هذا الحال يـــا حاقد...)) تركتها تتدفق مع أحاسيســـها العدائيـــة تجـــاهي، واصفة لي بأبشع الصفات، ولكنني توقفت بإصرار عند كلمـــة ((حاقد)) تساءلت باستغراب عم تعنيه أمي بكلمة حـــاقد؟!!... وعلى من أحقد؟!!... إنني أعرف أن الإنسان ينطق بكل مـــا تخبئه نفسه في لحظات الانفعال... إنها أصـــدق اللحظـــات... فلتات اللسان تكشف بجلاء عما يخزنه اللاشـــعور... لمـــاذا وصفتني بالحقد بالذات... لكنني وفي مواجهة عاصفة غضبها فضلت الانسحاب من أمامها حتى تهدأ وأعيد معها الكرة مـــرة أخرى... فلا يمكن أن أخلف وعدي لك أبدا... فلقد كانت كـــل طلباتك لي بمثابة أوامر عسكرية لا يمكن عصيانـــها أبـــدا... كنت أعتبرك روحي و حياتي... ويا ليتني أدركت فـــي تلـــك

الأيام أنك لست روحي إنما أنت نفسي الأمارة بالسوء... كنت نجوت من شرك وشراكك... كنت حافظت على تماسك عائلتي الذي شتت بسببك... لكن... لا ينفع الندم الآن لأنه لن يرجع أمي الحبيبة من قبرها... ولن يرجع أخي الحبيب من الخارج... ولن يرجع صورتي كما كانت مضيئة مشرقة في عيون أخوتي البنات وفي عيون أهل قريتي... فلقد صرت اليوم في نظرهم قاتلا لأمي، لما سببت لها من حزن وكمد... صرت فاشلا بعد أن ضحيت بمستقبلي كمهندس من أجل بنت المهاجرين.

لم تمض أيام كثيرة على طلبي من أخي الذهاب إليكم وزيارتكم... حتى فوجئت به يطلبني للجلوس إليه قبل أن يسافر... وطلب من أمي أن تكون جالسة هي الأخرى، واستهل كلامه متحسرا أسفا ((لم أكن أعتقد في يوم من الأيام أن تصل يا أخي يا حسين إلى ما وصلت إليه كنت دائما أحس تجاهك بأنك ابني... حتى قبل أن يموت المرحوم... لكن أذهلني تفكيرك المريض الذي سيطر عليك عقب رسوبك، وبتأثير من بنت المهاجرين... لقد تصورت أي شيء يمكن أن

يقع منك... إلا أن تحقد علي أنا!!...)) سخنت رأسي مرة واحدة، وندت عني صيحة احتجاج مفاجئة على ما يزعم ((مستحيل أن أكون كذلك!!)) رفع كفه في وجهي بتجهم وجدية رهيبة، وطلب مني الصمت حتى ينهي كلامه، فاضطررت إلى الإمساك عن الدفاع عن نفسي على مضض، وراح يكمل كلامه القاسي بينما كانت أمي تنتحب في صمت، وهي تديم الحملقة في وجه أخي الدكتور، وكأنه على وشك أن يخطفه منها ملك الموت ((هناك آلاف الناس... بل ملايين الناس يمرون بالفشل كل يوم... لو تحول كل فاشل منهم إلى حاقد لكانت كارثة، ولتم تدمير العالم منذ أزمان بعيدة... لكن الفشل بالنسبة لهم جميعا كان دافعا للنجاح... إلا أنت!!.... لقد حولك الفشل للمرة الأولى في حياتك إلى إنسان حاقد!!... وعلى من؟!!... على أقرب الناس إليك... علي أنا... إياك أن تقول إن هذا الكلام استنتجته من خيالي... لا... أنا أعرف تماما أنك سمعتنا ونحن نتفق مع المأذون بخصوص الطلاق الصوري... وتعرف جيدا رغبتي في تأجيل تجنيدي حتى أتمكن من إكمال دراسة الدكتوراه، التي أعتبرها واجبا علي، وهما لابد أن أخلص منه بأية طريقة... وكانت الأمور تسير سيرا

حسنا، لولا أن وقعت بنا الهزيمة... فالغي التأجيل الاستثنائي بالنسبة للمعيدين... ولو أن مدة التجنيد كانت معروفة لنا عاما أو عامين لما كانت هناك أية مشكلة... كنت أتحملهما بأي شكل... لكن المستقبل غامض... ولا أحد يعرف متى تبدأ حرب جديدة وما مصيرها... ولو كانت دراستي نظرية لما كانت هناك أية مشكلة... كان يمكنني مواصلة الدراسة وأنا مجند... لكن للأسف دراستي عملية... تجارب... أنت تدرك كل هذا... لذا أردت الانتقام مني!!... أردت أن تجعلني خاضعا لك، ومستجيبا لكل رغباتك، حتى ولو كانت غير محترمة، أو غير معقولة... ومن يدري ربما فرضت علي في المستقبل أن أفعل شيئا غير مشروع... ما دام الحقد يدفعك، لكنني في الحقيقة لم أعتد على أن أضع رقبتي تحت سكين أحد... لذا جلست إليك الليلة لكي أنصحك نصيحة أخ محب فأنا ما زلت أحبك وما زلت أعتبرك ابني وليس أخي... لذا أطلب منك أن تنتبه إلى مستقبلك وتستعد للاستذكار والنجاح في العام القادم، وأن تبتعد وفي الحال عن بنت المهاجرين، ويجب أن أصارحك بمعلوماتي عنها، لست أنت الوحيد في حياتها... هي تتعامل معك كقطعة من العجين تشكلها حسب إرادتها، تستغل فيك هذا

الولع المجنون بها... ولكي أضع قرارك الحر بين يديك، أردت أن أخبرك أنني سأسافر غدا إلى أمريكا على نفقتي الخاصة سأكمل دراسة الدكتوراة هناك قد أعود وقد لا أعود للقائكم مرة أخرى ولكن لي رجاء واحد هو أن تقلع عن كل هذه الأفكار الشريرة التي تسيطر عليك، وأن تنتبه إلى والدتك في غيابي فأنت رجلها الوحيد الآن بعد موت أبينا وبعد سفري إلى الخارج، أخوتك البنات في حاجة إلى أخ رجل يزورهن من وقت لآخر، ويحمل لهن الهدايا في كل المناسبات)).

ولم يستطع أن يكمل كلامه بعد أن انفجرت أمي في بكاء مروع، لم تكتف بذلك بل نهضت إلي بعصبية، وشبه جنون، وراحت تنهال على وجهي وكل أعضائي ضربا وهي تصرخ :((يا حاقد... يا فاسد... قتلت أباك برسوبك، ثم جعلت أخاك يهجر مصر كلها بسببك ماذا تريد منا؟!! هل تريد قتلي؟!!.. لقد قتلتني... ألم يكفك الرسوب والخيبة... تريد أن تتزوج بنت المهاجرين أو تدمير مستقبل أخيك؟!!... فلينتقم الله منك... فلينتقم منك الله... قلبي غاضب عليك إلى يوم الدين... قلبي غاضب عليك إلى يوم الدين... لن تكسب ولن تربح أبدا...)).

لم أجد وسيلة أفضل من الهروب من بين يديها، والتملص من بين ذراعيها بجسد منهار تماما، لدرجة أنني لم أستطع الخروج من البيت كما كنت أنوي، بالكاد وصلت إلى غرفتي، دخلتها وأغلقت الباب خلفي، وألقيت بجسدي ينتفض غيظا وحقدا وحزنا فوق سريري الذي يشبه المقبرة، صار أضيق على جسدي وصدري من حضن المقبرة وتمنيت لحظتها لو أموت، وأستريح من هذا الصراع اليائس الخاسر لقد خسرت كل شيء في لحظة مصارحة من أخي ومن أمي لي. فجأة أجد نفسي مجردا في مهب العواصف يتهمونني بالحقد عليهم؟!!... يجعلون مني شرير العائلة؟!!... أنا من تسبب في موت أبي حزنا على رسوبي؟!!... أنا من حوله فشله إلى حاقد، ومتربص لكل الناجحين، وأولهم أخي؟!!... سأتسبب في مقتل أمي بعد مقتل أبي؟!... أخي يهجر مصر كلها بسببي أنا؟!... لقد تخليا عن وعدهما لي بالسعي في خطبة حبيبتي إذن؟... لم يكن ذلك وعدا... لقد كان مجرد حيلة لاكتساب الوقت إذن... تصرف أخي بذكاء... لم يتصد لي في لحظة جنون... اختار أسلوب المحاورة، وفضل المناورة

والخداع... يبدو أنه تصرف معي من منطق أنني لم أعد إنسانا سويا وشريفا وعاقلا... خدعني مثلما خدعتنا إسرائيل وانتصرت علينا... يبدو أن أخي وعى الدرس جيدا... لم يناطحني كنت في لحظة تحد متوحش... كان يعلم إذن أنني انطلق في مواجهته من مركز القوة... يبدو أنه قد تكشفت في ذهنه كل أفكاري عندما هددت بالتطوع في الجيش براسب ثانوية... هكذا استطاع هو وأمي أن يفسدا علي كل ما رتبت له... لقد قلبوا لي كل شيء، حتى أحاسيسي لم تعد كما كانت لم أعد أصدق نفسي عندما أحاول إقناعها بأن أمي وأخي وراء السبب الحقيقي في موت أبي، لم يعد هذا السبب يقنعني، لقد قالت أمي الحقيقة التي كانت تكتمها في صدرها، فأنا برسوبي وفشلي من تسبب في موته... لم أعد مقتنعا بأنه مات كمدا لأن أمي – ربما تكون قد صدته، عندما طلبت منه أن يقلع عن طلبه فته العدس والبصل الأخضر لو حكيت أنا حجتي، وحكت هي حجتها لأي إنسان لصدقوا حجتها في الحال ولضحكوا على ادعائي... فلم يسجل التاريخ أن رجلا قد مات لأن زوجته امتنعت عن أن تطبخ له فتة عدس، بينما التاريخ مفعم بحوادث موت الآباء بسبب فشل وخيبة الأبناء... كان

الضجر والضيق قد حول مرقدي إلى شجرة شـــوك عنيـــدة...
كنت أدور نفسي وأبرم جسدي بداخلها مثل مسمار البريمـــــة.
انبثقت في ذهني خيبه أملي الكبرى... لتحرقني، ولتعصف بي
عاصفة من الجنون، لم يكن رسوبي بالطبع هو الكارثة، بـــــل
كانت كارثة عدم تحقق وعدي لك بمجيء أخي وأمي إلى بيتكم
وأهلك لخطبتك لي هي التي تفترس روحي بوحشية وشراســـة
كيف سأظهر أمامك؟ وماذا ستقولين عني أنت وأمك؟ بـــالطبع
سأسقط من نظركما إلى الأبد... ستقولان عني إنني طفـــــل...
ليس لدي القدرة على عمل أي شيء، أو تحقيق ما أقول وأعد
به... تملكني شعور بالقهر والانهيار في مواجـــهتك... كيـــف
سأتصرف معك؟... كيف سأبرر لك عدم مجيء أخي وأمي كما
وعدت من قبل؟... كيف سأقابلك بعد الآن؟... في الوقت نفسه
أنا لا أستطيع أن أتخلى عنك أو أفقدك، أو حتى يمر بي يـــوم
واحد دون أن أراك أو أكلمك، لقد صرت لي قطرات الماء التي
يتجرعها ولهان الصحراء، وأه من صحرائي في تلك الأيــــام،
كانت أقسى صحراوات العالم، كانت جافة ومغطـــاة بســـحابات
سوداء، كانت تمطر كرات من نار فوق رأسي، لقد أفلت كــــل
أمل من بين يدي، ولم يبق لي غير الحسرة واليـــأس والألـــم

القاتل... فكرت في الانتحار... وجدتها فكرة جديدة لكي أعيد زمام الأمر إلى يدي من جديد، بعد أن تخلص أخي من إرهابي له بفكرة التطوع في الجيش، ولكني انصرفت عن فكرة الانتحار، وبعد وقت قصير من التفكير فيها، لأني أحسست بأن أحدا لن يهتم بي... فلم يعد يهمهم موتي أو حياتي بعد كل هذه المصائب التي أحدثتها، بل لم يخالجني أي شك في أن معظمهم سيسعد بموتي... لقد أصبحت في نظرهم مثل البنت التي فقدت شرفها وعذريتها... صارت عارا على أهلها... ثم إنني لو صممت على تهديدي لهم وانتحرت... سأتركك... وهذا أكثر الأشياء استحالة بالنسبة لي... لن أسمح لرجل آخر أن يقترب منك أو يلمسك... لن تكوني لأحد غيري...وما دام موتي سيريحهم... فلن أريح أحدا... سأبقى حيا... لو مت سيحول أخي الأمر لمصلحته... سيلغي سفره إلى أمريكا... سيبقى في مصر... فهو لن يدخل الجيش بعد موتي... سيكون وحيد أمه... سيعفى من التجنيد... سيحصل على الدكتوراه... لن يتذكرني أحد منهم بعد موتي، سيتقبلون العزاء في... يوما واحدا، ثم يقتلونني مرة ثانية في ذاكرتهم... الست أنا النقطة السوداء الوحيدة في شرف أسرتي الناصع البياض... إذن لا

بد أن أفكر تفكيرا سليما يحرم الآخرين مـــن أيـــة فـــائدة... ويمكنني من الاحتفاظ بك مدى الحياة... فأنت لـــم تخلقـــي إلا لي... وأنا لم أخلق إلا لك... ولن يستطيع مخلوق أن يفـــرق شملنا... وسأقف في وجوههم جميعا سأتحداهم... ســـأنتصر لنفسي وحبي في النهاية... سأعلمهم كيف تكون الإرادة التـــي لا تقهر... سألقنهم درسا في كيفية احترام كلمتـــهم ووعدهـــم لي... لقد نجحوا في الإفلات مني، ومن ضغطي وتـــهديدي... لكنهم لن يفلحوا في إبعادي عنك، أو في وضع أية عقبة فـــي سبيل زواجي منك... لم يكن هناك من وسيلة لتلقينـــهم تلـــك الدروس والاحتفاظ بك إلا سبيلا واحدا، وهـــو التطـــوع فـــي الجيش... كـــان لزامـــا علـــي قبـــل أن أذهـــب للتطـــوع أن أستشيرك... ولم تمانعي... بل باركت كل أفكاري المجنونـــة... وساعتها أقسمت لي بأنك لم تعرفي شبابا غيري ولن تعرفـــي أي إنسان غيري... ولكن لكي يطمئن أهلك إلى ذلك طلبت مني أن أقرأ الفاتحة مع أبيك قبل أن أسافر... وتم مـــا طلبـــت... وكانت دهشتي أن أباك لم يجادل في عدم حضور أهلي معي... بل قبلني بمفردي... وهذا بالطبع لم يكن ليحدث من أي مـــن أهل قريتنا... فهم في العادة يزوجـــون أهـــل العريـــس قبـــل

العريس نفسه... ومع ذلك كانت سعادتي مجنحة ، حلقت بـــي إلى حيث الجنة التي صرت قريبا منها... فلقد صرت خطيبتـــي وهذا كل ما يهمني... ولم أبال كثيرا بمرض أمي الذي ظننـــت أنه مصطنع بعد سفر أخي، وبعد علمها بأن خطبتي منك قـــد تمت رغم أنف الجميـــع... وتركـــت القريـــة، ســـافرت إلـــى الجيش... لم يكن لي فيها إلا أنت الحبيبـــة، وحســـنين هـــو الصديق الوحيد لي... طلبت منه أن يكون قريبا منك، يحميـك في غيابي ويرعاك... ويذلل أية مشـــكلة تواجـــهك... كـــانت دموعك هي آخر ما بللت به وجهي في القرية... عندما أخلـت لنا أمك الحجرة لكي ننفرد ببعضنا قبل السفر... وتركتك وقلبي يتفجر حبا لك وهياما بك... في الحقيقة كنت أحسد نفســـي عليك... في أحيان كثيرة كنت أشعر بأنك جديرة بشاب أفضـــل مني... فمن أنا حتى أحبك؟ هكذا هو الحب المخلص دائمـــا... يضع الحبيبة في أعلى منزلـــة مـــن القلـــب ومـــن التقديـــر والاحترام... قبلتني أمك داعية لي بالسلامة وبالتوفيق... كمـــا لو كنت ابنها، بينما رفضت أمي أن تتطلع إلى وجهي... بـــل قالت من بين أنينها الذي اعتقدت إنه مجرد تمثيل للتأثير علي ((ما زلت غاضبة عليك...... وإن شاء الله...لن تربـــح ....

ولن تكسب.... يا فاشل)) أشحت لها بوجهي في غير اهتمام، وسافرت.

((لا يأتي إلى هنا متطوعاً، إلا من غضبت عليه أمه)) صفعتني تلك الكلمات على وجه الخصوص من بين خطبة الاستقبال الطويلة والكئيبة، التي قذفنا بها رقيب السرية في التعليم الأساسي بوجهه المتجهم... وحسبت عندما سمعتها منه أن هناك من أخبره بما حدث من أمي لي... مع أنني لم أكن قد صادقت أحداً بعد... وفي الحقيقة لم تكن خطبته وحدها هي الكئيبة، بل إن وجهه كان أكثر كآبة... كانت كل الوجوه التي استقبلتنا من أصغر رتبة إلى أكبر رتبة في الجيش كانت تنفجر بالكآبة والوجوم والضيق... لم أر أي شفتين تبتسمان... كانت ملامح الهزيمة المباغتة ترتسم على وجوههم... لم يكن فيما اعتقدت أن هناك أي إنسان لديه أمل وحب للدنيا سواي أنا... لأنني لم أذهب وحدي، كان طيفك الحلو معي... كان يسكن خيالي... كان يحتل قلبي كله... كنت أسأل كل إنسان في الكتيبة ((متى نحصل على الراتب الكبير؟)).

كان الهم الوحيد لي هو أن أصبح رجلاً ذا راتب أعتمـــد على نفسي، حتى أتمكن من الزواج منـــك، الانتصـــار علـــى الجميع... لم أعبأ بالتكدير والقرف الذي كان يشكو منـــه كـــل زملائي المتطوعين مثلي... لم أبال بلسعات أشعة شمس بداية الخريف عندما كانت تجلدنا طـــوال الظـــهيرة، أثنـــاء القيـــام بالتدريبات الأولية الأساسية... كان لدي من الصبر والطاقـــة والقدرة على احتمال مليون شمس مثل هذه التي تساقط منـــها الزملاء في الطابور، مثل النخيل في يوم عاصف... كنت دائما أناجي صورتك التي أحتفظ بها في رأسي طوال الوقت... كنـت أرسم خطاً على جدار الملجأ الذي نقيم فيـــه تحـــت الأرض... كنت افعل مثلما يفعل العساكر الأميون، لأفرح نفســـي بعـــدد الأيام التي مرت علي هنا... كل يوم كنت أرسم خطاً... كـــان صديقي وزميلي في الملجأ يضحك لذلك... ((من يـــراك تفعـــل ذلك لا يمكن أن يقول إنك قد وصلت في تعليمك إلى الثانويـــة العامة!!)) كنت أرد عليه بسعادة وأمل ((أريد أن أجسم أمـــامي حجم الأيام التي مرت علي... كي أسعد نفسي بقرب تحقيـــق الأمل)) كانت تسيطر عليه الدهشة لما يسمعه منـــي... كـــان يصرخ في وجهي منبهاً حانقاً ((أي أمل؟!!... لا تنـــس أنـــك

جندي في جيش ممزق مهزوم، لديه الكثير من الوقت حتى يفكر في دخول معركة جديدة، ولابد أن يدخلها... إن بلدنا الآن محتلة... هل تعي هذا؟!!... إن إسرائيل تحتل سيناء كلها))
كنت أرد عليه باستخفاف ((وما المشكلة في ذلك؟!! عندما نستعد ونحضر طبات الصواريخ من روسيا سنحاربهم... سنحرر أرضنا كالعادة... ليست هذه هي المرة الأولى التي تحتل فيها مصر وتحرر)) عاد لصراخه مرة ثانية، وهو يهزني من كتفي، كأنه يريد أن يوقظني من نومي ((هل تعي معنى الحرب؟... معناها الموت... وقد يكون هذا الموت لي أو لك لذا فهو مجنون أو أحمق من يبني أي أمل على الغد!!... الغد يوم غير مضمون))... وجمت أنا الآخر على إثر كلماته اليائسة المتشائمة تلك... فنقطة ضعفي الوحيدة أن يحول حائل دون زواجي منك، بعد كل تلك التضحيات... وكنت في شوق جارف لأن يصل لي خطاب من صديقي حسنين الذي أسرعت بإرسال عنوان الوحدة العسكرية، ورقم (الكودي) له ملحا عليه أن يرسل لي كل صغيرة وكبيرة تحدث في القرية أولا بأول، وبالطبع يعرف أن أخبارك هي التي أعنيها في كل الحالات... طال انتظاري، وبدأت روحي المعنوية تصاب

باحباط.... أخذ يتملكني التوتر والقلق... رحت أثور على من حولي لأتفه الأسباب... حتى جاء أتعس خطاب قرأته في حياتي... قال لي فيه حسنين أن أمي لم تتحمل كل ما مر بها، فماتت بعد سفري بأسبوع واحد... وأن كل البلد تلعنني؛ لأنني السبب في كل تلك المصائب التي حلت بأسرتنا، التي كانت محسودة من كل أهل القرية... أخبرني أيضا أن كل أهل القرية ينظرون إليك أنت كمهاجرة وإلى أهلك كرمز لكل الخراب الذي حل بنا... بل والذي حل بكل إنسان في القرية... فلم يكن موسم الزراعة جيدا... ثم إن الغلاء نهب معظم دخل الناس، وحتى الخير والبركة قد فارقت القرية منذ مجيئكم إلينا....

قال كلاما كثيرا أحزنني... وسألت نفسي بحذر وشك لماذا يكتب لي حسنين بمثل هذه الأخبار القاسية؟!!... ولماذا لم يذكر كلمة واحدة طيبة عنك؟!!... وتذكرت أني طلبت منه مشددا أن يكتب الرسائل بمنتهى الصدق، ودون مواربة أو إخفاء أية حقيقة، مهما كانت مرة وظللت أبكي أياما طويلة... وعلم قائد الوحدة بنبأ موت أمي فعرض علي أن أنزل في

إجازة محدودة جدا... لمدة يومين فقط لأن الظروف التي نمـر بها لا تسمح بأكثر من ذلك... لكني شكرته رافضا العـــرض، وبقيت أبكي أياما طويلة... ولم أكن بالضبط أعـــرف الدافــع القوي لكل هذا البكاء الحاد المتواصل... هل لأن أمـــي مـــاتت وهي غاضبة علي؟... أو لأنها ماتت قبــــل أن تراني وقــد تزوجت منك وانتصرت عليها؟... أو لأنك أنت وأهلك مساكين، تتحملون من أهل القرية نظرات الاحتقـــار والازدراء بســـببي أنا؟... فكرت أن أكتب لكم لكي تنتقلـــوا مـــن هـــذه القريـــة الظالمة... كنت على وشك أن أكتب لك خطابا بهذا، لولا أنـــي فجعت فجيعة جديدة في صديقي حسنين... حيث أنـــي قـــرأت خبرا في الصحف مفاده أنه... تم القبض على خلية شـــيوعية كانت تعد لقلب نظام الحكم... وكان حسنين واحـــدا منـــهم... وابتلعتني الحيرة والشك في صحة ما ينشر في الصحف... هل معقول؟!!... حسنين ابن الوقيعـــة يفكـــر فـــي قلـــب نظـــام الحكم؟!!... إنه بالكاد يكفي أسرته خبزا...فكيـــف يمكنـــه أن يغير نظام الحكم؟!!... لقد قرأ علي أكثر مـــن مـــرة قصيـــدة بالشعر العامي تحتوي على هجوم عنيف على المسئولين عـــن النكسة، من القادة العسكريين... لم أر في ذلك أي جرم... إنـــه

نفس ما كان يقول به كل شعب مصر... وهو لم يكن يكتب أكثر مما كان يقول به الناس ((لم تحدث الهزيمة إلا بالخيانة أو عدم الاكتراث... يأكلون خير البلد طوال السنوات السابقة...ثم عند الجد وعند اليوم الموعود الذي تحملنا ظلمهم لنا وطغيانهم علينا يفر الجميع... يتحولون فجأة إلى هياكل من دخان)) هذه هي المعاني التي يكتب فيها حسنين... نفس ما كان يقول به الناس، لكنه صبه في كيان شعري،هل أبيات الشعر العامي يمكنها أن تغير نظام الحكم؟

لا أستطيع أن أنكر أن رسالة حسين الحادة التي حملت لي كل الأخبار السيئة من القرية، وكذلك خبر اعتقاله، ومحاكمته بدلا من محاكمة المسئولين الحقيقيين عن هزيمتنا في حربنا مع اليهود، قد انتزعوا من مكانة طيفك في وجداني مساحة ووقتا ليس بالقليل... وجدت نفسي شيئا فشيئا اقترب بتفكيري وأحلامي من الأرض... لم تعد العاطفة مشبوبة كما كانت من قبل... ربما لأن التحدي قد فقد بريقه في نفسي العنيدة... فعلى من سأنتصر بزواجي منك بعد أن هاجر أخي، وبعد أن ماتت أمي؟... وما معنى أن يقبض على الشرفاء مثل

حسنين، بينما يتم التسامح مع المجرمين الحقيقيين المسئولين عن الهزيمة؟... وبدأ من حولي يلحظون أن هـــذه الابتســـامة الحلوة، التي كانت تغيظهم بشكل دائم قد تبخرت وتلاشت مـــن فوق شفتي... بدأ زميلي الذي يقيم معي في الملجأ يقترب مني أكثر وأكثر... بدأنا نتكلم في كل شيء... أذهلني أنـــه يفـــهم الحب بمعنى آخر غير الذي نفهمه في قريتنا... فهو من سكان المدينة... ضحك على مفهومي للحب بأنه التقاء روحيـــــن... ويجب أن يعيش على النقاء والصفاء والطهر، حتى يمكنـــه أن يعيش طويلا ويستمر، كـــانت ضحكتـــه مشـــوبة بالســـخرية لأفكاري القديمة البالية. موضحا بأن أيام قيـــس وليلـــى قـــد ولت... وشرع يعلمني أصول الحب الحديث... وبأن بنت اليوم لا تؤمن بهذا النوع من الحب...بل ترجو ممن يحبها أن يدخـل في أعماقها... لو عاملها معاملة الأزواج فلا يمكن أن تنســـاه مدى الحياة... بالطبع لم آخذ كل ما قال به مأخذ الجد... فأنـــا أعرف أن الجيش جمع بين كل الأنواع من البشر، ولا يفـــرق بينهم، فما دام لبس (الأفرول الكاكي) تتوه الأصول، ويجتمـــع اللص مع الشريف في ملجأ واحد، والصـــادق مـــع الكـــاذب، والرئيس في الحياة المدنية والتي نسميها هنا (الملكية) مـــع

مرؤسه، وتكون الفرصة مناسبة للكذابين أن يقولوا ما يشاءون من الأكاذيب، فهنا لا أحد يعرف أحدا، والصحراء واسعة وليل الخدمة العسكرية طويل طويل، ولابد من الحديث والحديث؛ لكي نقطع هذا الليل الطويل.

لذلك لم أجد غضاضة في أن أسأله، وأسأل غيره عن الأشياء التي أخجل أن أسأل فيها أحدا من معارفي في القرية... وحتى لو سألتهم هناك فلن يعطوني الإجابة الصحيحة، لأنهم غير مجربين... لكن هنا... لا حرج... لا خجل... كل من يعرف يقول، ولا يخبئ شيئا من معلوماته القيمة عن الجنس... فكلنا رجال، و طول حرماننا من رؤية النساء في (الملكية) يدفعنا إلى الكلام عنهن أكثر، لذا لم أترك فرصة متاحة في الأسئلة عن أفضل الطرق في جماع المرأة إلا وسألت... وما هي أهم الأشياء التي تجعل المرأة تتمسك بالرجل وتحبه مدى الحياة؟... عندما كنت أسأل عن ذلك، لم يكن في ذهني بالطبع غير رجل واحد هو أنا، وامرأة واحدة هي أنت... فلقد كنت مصمما على الحفاظ عليك في أحضاني مدى الحياة، وحتى آخر العمر... قال العارفون بأمور المرأة

من رفقاء الخدمة العسكرية ((إن الذي يجعـل المـرأة تحـب الرجل هي الهدايا والكلمة الحلوة... أما الذي يجعـل المـرأة تعبد الرجل عبادة، فهو الجنس... أو بمعنى أكثر دقة –حسب كلامهم– هو إتقان الجنس معها)). وبين الضحك مرة، والنكات مرة أخرى كنت أسترق المعلومات الدقيقة الكاملة عن ممارسة الجنس ومن أول التمهيد والقبلة وطرقها وحتى ....

ولأن ليل صحراء الجيش طويل ولا ينتهي، لذا فإن زميلي في الملجأ لم ينته من الكلام عن مغامراته الجنسية مع الكثـير من البنات، وخاصة مع ابنة الجيران... فلقد كـان يعاشـرها معاشرة الأزواج... وعندما صرخت فيه محتجا ((ألا يحدث أي حمل؟!!))، في الحقيقة كنت أكذبه بطريق غير مباشرة لكنه رد علي ببساطة ((الأجزخانات مليئة بوسائل تحول دون ذلـك)) وسألني مختبرا إن كنت أعرفها... ترددت قبل أن أدعي بـأنني أعرف بعضها، ولكني أريد أن أعرف الوسائل التي يسـتخدمها بالذات، وإن كانت أكثر أمنا من غيرها؟... في الحقيقـة كـان هذا الكلام يهز أعماقي... إنها المرة الأولى التي أعرف فيـها أن العلاقة بين الفتاة والفتى في أيامنا هذه يمكن أن تصل بهما

إلى هذا الشيء المتدني الحقير، فما زلت أحتفظ في أعماقي بتربيتي الريفية الدينية... وكراهية الزنى... ولكن حبي لمعرفة المزيد عن أسرار الجنس كان يسيطر علي... لذا كنت أداوم على سؤالي له عما فعله مع بنت الجيران هذه... وسألته مستغربا... كيف كان يتم له ممارسه ذلك معها؟!!... وكانت مفاجأة أن يقول في بيتها... فأمها امرأة عبيطة وحسنة النية... وأبوها كان طوال النهار والليل في العمل... فلم يكن مكتفيا بعمله في الحكومة، كان يذهب بعد الظهر للعمل في شركة... وهو يذهب إليها بحجة الاستذكار معها... فلقد كانت زميلته في الشهادة الإعدادية لمدة عامين... في هذا العام فقط عام النكسة نجح هو ورسبت هي... وقال لي إنه كان يطبق معها كل مكان يسمعه من الناس والزملاء، عن طرق ممارسة الجنس، وكل أنواع القبلات... وهنا فقط ألح علي سؤال عنيد ((هل أدخلت لسانك في فمها عندما كنت تقبلها؟... أقصد كيف كان تأثيرها عليها؟...)) سخر من جهلي البادي علي، لأني لم أكن أعرف أن هذه القبلة تسمى (القبلة الفرنساوي) وقال إن تأثيرها عنيف جدا عليها... كانت أفضل القبلات بالنسبة لها... كانت تقول ((إنها تسحب روحي من جسدي)) وهنا أصابتني

غصة، وتملكت جسدي رعشة... ومن حسن الحظ أنني كنت أتكلم معه بينما كنا نتمدد فوق فراشنا الميداني، ونحن غارقان في ظلام تام... فلم يلمح مدى ذعري والاضطراب الذي سيطر على ملامحي... فقط بحة من صوتي كانت ستكشفني عندما أخذت أسأله بشكل غير مباشر عن المدينة التي يقيم فيها... وفوجئت بأنه مهاجر إلى قليوب وأنه من أهل المحافظة التي تنتمين إليها... لم تكن لدي القدرة ليلتها لكي أسأله أكثر من ذلك... فلقد أحسست أن قلبي يوشك أن يتوقف... لكني لم أر النوم ليلتها ... وقضيت اليوم الثاني في التدريب وأنا غائب تماما عما حولي... كنت أتطلع إلى قرص الشمس متشوقا وملهوفا بخوف إلى وقت أفوله وغيابه وحلول الظلام... وطال نظري إليه، وأنا في طابور التمام المسائي... كنت أتصور أن هذا الاحمرار الشفقي الذي يسيل منه، ما هو إلا انعكاس لألوان الدماء التي نزفت من غشاء البكارة الذي يتمزق من فتيات في غفلة من أهلهن... وأفقت على صوت رقيب السرية وهو ينهرني لأنني سرحت ولم أستجب لأمره بالانصراف مع بقية الطابور...

في مساء ذلك اليوم قررت أن أواجـــه المصيبـــة التـــي استشعرت قدومها إلي لا محالة... انتظرت حتى انتهينا مـــن تناول طعام العشاء والمحاضرات الليلية... وما إن تلقفنا ظلام الملجأ وخلعنا الحذاء العسكري الضخم والمســـمى (البيـــادة) حتى عاودت استدراجه للحديث عن بنت الجيران... وكلما كان يقول عنها شيئا كان قلبي يغوص في بئر عميق مـــن العـــار والغضب... كانت كل الأوصاف تنطبق عليك أنت... وعندمـــا أدعى بأنك أجمل بنت رآها في حياته ردا على تكهن مستفذ له من جانبي ((يبدو أن ابنة جيرانك هذه كانت مـــن الدمامـــة، لدرجة جعلتها تستسلم لك كل هذا الاستسلام المشـــين... قـــد تكون أنت الشاب الوحيد الذي أجبر بخاطرها وغازلها)) هتف في الحال مستنكرا قولي بكبرياء وتحد ((لست أنا من يقبـــل بمغازلة أية فتاة... محسن محجوب صياد ماهر... بـــل مـــن أمهر صيادي الجمال في مدينتي... ولكي أثبت لك مدى جهلك بمواهبي، سأعرض عليك بعض صور البنات اللواتي أحببنني حتى النخاع)) أقول لك الصدق... تمنيت لحظتها ألا يفعل...في تلك اللحظات بالذات تمنيت أن تظلي حبيبتـــي ولـــو بـــالكذب والخداع... لم أكن قادرا على أن أفقد نفسي مرة واحدة... لـــم

أكن مستعدا أن يكشف الستار مرة واحدة عن مسرحية حياتي الكاذبة... لا يمكن أن تكوني أنت أنت هي هي ابنة الجيران التي كان يعاشرها معاشرة الأزواج... لا يمكن أن تكوني أنت الفتاه العاهرة التي خدعت أباها وأمها... لا يمكن أن أكون أنا الشاب الفلاح الساذج المخدوع... كنت أتمنى الموت رحمة بروحي، قبل أن يطعنني بعرض صورتك شبه العارية بين عيني... لم أهتم بكل الصور التي عرضها في ضوء عود ثقاب لا يشتعل إلا مرة واحدة... أحسست به ينطفئ في عيني المحملقتين إلى وجهك الذي امتزج ببصري!!... لم يمنع انطفاء عود الثقاب من أن أستكمل صورتك بكاملها في خيالي!!... فأنا قد أيقنت من اللمحة الأولى إلى صورتك التي عرضها علي أنك أنت ابنة الجيران العاهرة... لم يعد هناك أدنى مجال للكذب على ذاتي... ذكر اسمك من قبل وتوجست خيفة، ولكني أوهمت نفسي في الحال بأن ذلك مجرد تشابه أسماء... ذكر اسم المدينة ولكني خدعت نفسي بأن المدينة ما أوسعها، وأقنعت روحي بأنك فوق الشبهات... ولكن أمام تلك اللكمة العنيفة المزلزلة لكل كياني، عندما سقطت عيناي على صورتك شبه العارية، كان محتوما علي أن أفيق... كان مقدرا

على روحي القروية الطاهرة أن تنهض ثائرة مــــن ســباتها واستكانتها واستسلامها المذل... وياليت ثورتها كانت ضـــدك أنت... لكن لسوء حظي الذي صار ملازما لي منذ أن وطئــت أرض قريتي... كانت ثورتها نقية وعنيفة ضدي أنا... ضد كل تصرفاتي وسلوكي المنحرف... أمن أجل عاهرة رسبت وقتلت أبي حزنا على خيبتي وعجزي عن التبكير في تحقيــق أملــه بالالتحاق بالجامعة قبل أن يموت؟!!... مات لأنه أيقن أننـــي خذلته... لم يمت لأن أمي لم تعد له فتة العدس كما كنت أخدع نفسي، وأبرر لها ما يريحها... بســـذاجتي القرويـــة... بـــل بحماقتي دفعت أخي الأكبر الذي كان يحبني ويخاف علي مثـل أبي إلى هجرة مصر كلها والاختباء بعيدا عن أحقادي المدمرة في أبعد مكان... في أمريكا، حتى لا تطوله نـــاري الغاشـــمة العمياء... ليتني استمعت إلى نصيحته عندما حذرنـــي منـــك، وقال إنك لا تعرفين الحب... إنما أنت بائعة هوى... لكن كيف لي أن أصدقه، وقد سلبت مني كل عقلي... من أجل الزيـــف والبهتان والكذب والغش أتسبب في مقتل أمي أنا؟!!... مـــن أجلك أنت يا أحقر كذبة مرت في حياتي، أدمر كل أحبائي وكل المخلصين لي؟!!... من أجلك أنت يا خنزيرة جيلـــك، أدمـــر

آمالي ومستقبلي؟!!... وأفرط ببساطة في كل ما حلمت بـــه، وما حلم الناس به معي، من أن أكون المهندس حسين حســن القباني... قبلت التطوع براسب ثانوية عامـــة فـــي القـــوات المسلحة... من أجل الاستحواذ على كومة من اللحم الأبيـــض المستعمل من قبل؟!!... أضحي بأهلي والمـــاضي والحـــاضر والمستقبل!!... يا لني من مغفل كبير!!... يا لني مـــن أبلـــه وسفيه!!.

وهكذا ألقيت بنفسي في أعماق مرجـــل منصـــهر مـــن الإحباط والإحساس بالآثام، ثورة محتدمة تدمـــر كـــل شـــيء يسمى الماضي أو الحاضر أو المستقبل، تملكتني رغبة عارمة في الانتقام منك، لابد من قتلك والتمثيل بجثتك في حضور أهل القرية كلهم، لن يشفي غليل نفسي أقل من هـــذا، لـــن يـــرد كرامتي غير هذا، لن أكفر عن جميع أخطائي وحماقاتي فـــي حق أبي وأمي وأخي وجميع أفراد أسرتي غير قتلك وتقطيـــع أجزاء جسدك الشيطاني، لن أضيع بمفردي... لابد أن تكونـــي معي... مثلك لا ينبغي له أن يعيش أبدا... لا بد أن أتسلل من المعسكر ليلا حاملا سلاحي للقضـــاء عليـــك... لكـــن كيـــف

والمعسكر وسط الصحراء، ولا من وسيلة للمواصلات تقلنـــي إلى أقرب مكان عامر بالبشر، ولكن لابد من وسيلة للانتقام... لايمكن أن أستمر بهذه الحالة... إن النـــار تلتـــهمني طـــوال الوقت... إنها نار لا قبل لي بها ولا يمكن الاستمرار معـــها... لا أمل... لابد من فعل أي شيء...لكن ما البديل؟... ربمـــا... أو... أو...

لم أعد أتذكر كم من الوقت مر بي بعد أن استحال كيـــاني بركانا محتدما لكنه غير قادر على الانفجار، كل ما أذكره أنني أصبحت بحالة أرق دائمة، لم أعد أعرف هذه النعمة المســـماة بالنوم، كانت عيناي تظلان مفتوحتين طوال الليل والنـــهار... كنت لا أنظر إلى شيء محدد بالذات... لـــم يعـــد يســـتهويني النظر إلى أي شيء... فلقد أصبحت مدمنا لمتابعة النظر فـــي أعماقي المتشابكة المتطاحنة في حرب حقيقية... لم أعد أملك القدرة على طرح جسدي على فراشـــي... صـــارت راحتـــي الوحيدة في البقاء جالسا منكمشا في ذعر دائم فوق مخلاتـــي العسكرية... لم أعد مهتما بنظافتي أو بحلق ذقني... لم أعـــد أجد فائدة من تناول الطعام... لم أعد أبالي بطوابـــير الذنـــب

والتكدير بالشدة الثقيلة فوق ظهري في قلب حرارة الشمس... لم أعد أعبأ بهذا السباب والشتم الذي يقذفني به كل رؤسـائي في الكتيبة... كنت أشعر بأني تحولت إلـى العـدم نفسـه... صرت لا شيئا في الواقع... لذا لم أجد أية متعة أو فائدة مـن البقاء حيا بين الناس... فكرت في أن أضع حدا لهذه المهزلـة التي تسمى الحياة... هذه كلمة لم يعد لها أي معنى عنـدي... فحتى لو كنت أقوى الأقوياء من بني البشر، فلن أتمكن مـن تصحيح ما أفسدته... لن أتمكن من إرجاع أبي إلـى الحيـاة مرة ثانية... وكذلك الحال مع أمي... هكذا قررت أن أطـوي الصفحة الأخيرة من قصة مأساتي... لـم يبـق إلا أن أحـدد الوسيلة... فكرت في أن أطلق على نفسي النار... لكنهم فـي الأيام الأخيرة توقفوا عن إعطائي السلاح... لم أعـد أخـرج للخدمة في الحراسة الليلية المسلحة... فكرت في سرقة سلاح أحد زملائي، وإطلاق النار على نفسي في غفلة منه... بالرغم من حالة الانشطار الفكري المتسلسل، التي أصابتني على أثـو انهيار قلاع الكذب التي حصنت بها فجورك، إلا أنـه بمجـرد التماع فكرة الانتحار -كحل نهائي ووحيد- في إحدى هوامش الذاكرة، غمرت ذهني كله حالة من الصفاء والنور، ووثبـت

فكرة الانتحار من الهامش البعيد النائي إلـــى بـــؤرة التفكـــير ومركزه، في الحال تكاثفت و تآزرت جميع خلايا عقلـــي بـــلا استثناء على وضع الفكـــرة موضـــع التنفيـــذ، أحسســـت أن الشيطان وحده هو الذي يحتل كل مساحات الذكاء في دماغي، لم يتأخر كثيراً في وضع الخطة، فلقد قررت أن أتســـلل مـــن ملجئي، بعد أن أطمئن إلى انقطـــاع الأقـــدام المتنقلـــة بيـــن الملاجئ... عندما يسيطر السكون الصحراوي علـــى أنحـــاء المعسكر... بعد أن يملأ شخير زميلي ملجأنـــا حتـــى ســـقفه المنخفض... أخرج زاحفاً على بطنـــي فـــي الظـــلام... دون صوت... أصل إلى أقرب زميل يقوم بخدمة الحراسة الليلية... أغافله... أنقض عليه... أنزع منه سلاحه... أوجـــه فوهـــة البندقية إلى قلبي... أضغط على الزناد... يتفجر دمي الملـــوث بحبك وغدرك... أتخلص منه تماماً... أرتـــاح... إلـــى الأبـــد أرتاح....

كادت الخطة تنجح... كدت أضع نهاية لحياتي بـــالفعل... نسيت أن أنطق بالشهادة وأنا أغافل زميلـــي، وأنـــزع منـــه البندقية... لكنه في اللحظة الأخيرة، انتبه إلـــى مـــا يحـــدث

بصورة مفاجئة... تمسك ببندقيته... تمكن من رفع فوهتـــــها إلى أعلى في اللحظة الأخيرة... وسط دهشته صاح بصـــوت عال منبها بقية حرس المعسكر الموزعين فـــي كـــل مكـــان ((حرس سلاح... حرس سلاح)) لم أمهله... حاولت أن أضغط على زناد البندقية، وأوجهها إلى صدري أنا... لكـــن طلقــة نارية انطلقت إلى الفضاء الصحراوي لتزلزل أشلاء الصمــت المتراكم فوقنا وحولنا... وفي الحال تجاوبت الطلقـــات مـــن البنادق الآلية، وبعض الرشاشات... تحول المعسكر إلى خليــة من خلايا النحل... أقدام تجري هنا، وأقدام تجـــري هنـــاك... الكشافات النائمة استيقظت باحثة ومدققة النظر عـــن وجـــود اليهود الذين تم إسقاطهم... وتدفق جنود كل سرية إلى مخزن الذخيرة بكل منـــــها... لكنـــهم... وبعـــد الـــهرج والمـــرج، والاستعدادات للالتحام مع جنود العدو لم يجدوا أمامهم غـــير جسدي المنهك المرتعش ملقى على الأرض مستســـلما فـــي مواجهة (سنكي) بندقية زميلي، الذي أطاح بي فـــي الحـــال، بضربة من حذائه في خصيتي، جعلتني أشعر بالشرر يتطـــاير من كل أعضاء جسدي... ورحت أتلوى حول نفســـي فـــوق الأرض... كنت أصرخ بشكل هستيري ((اقتلوني... مثلـــي لا

يستحق الحياة...أرجوكم اقتلوني... اقتلونـــي)) لكنـــهم لـــم يقتلوني... فقط انهالوا علي ضرباً...

في الصباح أحالني طبيب المعسكر إلـى لجنـة طبيـة عسكرية... أحالتني بدورها إلى مستشفى الأمراض النفسـية والعصبية... عندما جئت إلى هنا... كنت فاقداً تماماً الإحساس بالمكان والزمان... رأيت أشياء كثيرة وغريبة... لكنني لـم أعبأ بأي منها... لقد تحولت إلـى ذاكـرة قديمـة جريحـة ومشوهة... كنت منبت الصلة تماماً عن الحـاضر... كارهـاً للمستقبل... كم من السنوات طوتني؟... كـم مـن الشـهور طويتها؟ لست أعلم على وجه الدقة.

في الأيام الأخيرة أخذت تنتابني حالات انتبـاه وإدراك... شيئاً فشيئاً كان يجذبني النظر إلى وجه الطبيب الجديد... كان يشبه إلى حد كبير وجه أخي سامي الحبيب... ملامح وجهـه الدقيقة نفسها!!... جسده الرشيق نفسه!!... حتـى صوتـه الدافئ العميق الذي اشتاق لسماعه جـداً... لـذا كـانت أول الكلمات التي صدرت مني بعد هذا الإحجام المزمن عن النطـق

هو سؤال متوسل ((هل تعرف أخي الدكتور سامي؟... إنه يشبهك تماما !!))... ومن يومها لم يتركني... فلقد ابتسم ابتسامه حلوة، مثل ابتسامة أخي سامي بالضبط، وأومأ إلي هامسا برقة وسعادة حقيقية بأنه يسعده أن يكون بالنسبة لي مثل أخي سامي... ومن لحظتها بدأت آنس إلى وجوده... صرت أتحدث إليه كثيرا... أنا أسأله عن كل شيء... كأنني طفل فضولي، وهو أبي الذي لا يتضجر مني أبدا... علمت منه أن الدنيا قد تغيرت كثيرا... فلقد مات الرئيس عبد الناصر منذ سنوات... وأن الذي يحكم مصر الآن الرئيس أنور السادات... وأن الجيش المصري قد عبر إلى سيناء وحرر أرضها... وبدأت أتابع الأحداث من حولي من خلال التليفزيون والجرائد والمجلات التي يخصني بها الدكتور مجدي محمود الذي يشرف على علاجي... بدأت أعود إلى رشدي تماما من خلال أدائي للصلاة وقراءة القرآن الكريم الذي كان يحثني عليها صديقي الدكتور مجدي... أخذ يكرر لي في كل لقاء... ((الإيمان العظيم والأمل العظيم... هما وحدهما الكفيلان بحل أية مشكلة)) في الحقيقة رجعت إلى الدين مرة أخرى... رجعت إليه بنهم شديد... لست أدري إن كان هذا نوعا من

التكفير عن ذنبي وأخطائي الفادحة في حق أمي بالذات، التي ماتت وهي غاضبة علي... وبالرغم من أني رأيتها في الأيام الأخيرة- في أحلامي- تبتسم لي برضا... إلا أن عذابي ظل يتفاقم كلما تذكرت أنها ماتت وهي غاضبة علي... في الوقت نفسه الذي يتضاعف فيه احتقاري لك ولكل تصرفاتي الصبيانية معك... كما أني أتمنى أن ألتقي من جديد بأخي الحبيب الدكتور سامي الذي لا أعرف عنه أي شيء الآن، فمنذ أن دخلت المستشفى ولم يتصل بي أحد سواء من أهلي أو أصدقائي... وكلما عظم إحساسي بالذنب تجاه من أسأت إليهم بسببك... كلما نمت في أعماقي الرغبة في التكفير عن ذنبي... ويبدو أنني لم أجد وسيلة أفضل من أن أكتب إليك هذه الرسالة معترفا فيها وبشجاعة الرجال بكل أخطائي... محاولا أن أفرغ فيها كل ما كان يعتمل في جوفي... فربما نجحت في أن أتخلص نهائيا، وإلى الأبد من بقية سمومك التي أنهكت كياني طوال سنوات... لكي أبرأ نهائيا مما اعترى حياتي في لحظة طيش... ولعل اعترافي هذا يكون اعتذارا صادقا عما صدر مني تجاه أمي بالذات التي ما زال يؤرقني

موتها وهي غاضبة علي... فلتسامحيني يا أمي الحبيبة... وليرحمني وإياك الله.

التوقيع : حسين حسن القباني

ملحوظة هامة : عندما صارحت الدكتور مجدي محمود بمشكلتي في جهلي بعنوانك، لكي أرسل هذه الرسالة إليك طلب مني أن أسمح له بقراءتها -إن لم يكن هناك مانع- لم يكن بالطبع لدي مانع... فأنا لم أكتبها إلا لتقرأ... بعد أن قرأها أقبل علي متهلل الأسارير... تتملكه سعادة حقيقية... وخاطبني وهو يتأجج نشوة وإخلاصا ((لقد اكتشفت -بعد قراءة الرسالة- أنك كاتب روائي سيكون لك شأن عظيم في عالم الأدب العربي)) ثم استطرد في ثناء وإطراء أسعدني كثيرا، ثم فاجأني برغبته في أن تنشر هذه الرسالة على مختلف القراء في كتاب... بالطبع ترددت كثيرا... فأنا لم أفكر في يوم من الأيام أن أكون كاتبا روائيا... لكنه ما فتئ يداوم على إلحاحه علي في هذا، مغريا لي بتحقيق الكثير من الآمال لو تم ذلك... مؤكدا لي أنها ستكون رواية ناجحة... فأعظم

الروايات نجاحا هي روايات المكاشفة النفسية وتعرية الذات... تماما كما فعلت أنا في هذه الرسالة... مع ذلك لم أستجب له لكنه عندما أغراني بأن نشر هذه الرواية سيكون بمثابة اعتذار شجاع على الملأ لكل من أخطأت في حقهم، ابتداء من أصغر فرد في قريتي الحبيبة، وحتى روح أمي الطاهرة... كذلك ستكون وسيلة لعودة أخي الدكتور سامي إلي من جديد... وكذلك ستكون رسالة حاسمة في كشف كل الخداع والزيف الذي قتلتني أنت به... عند ذلك... لم أمانع في نشرها متمنيا أن تكون هذه الرسالة بمثابة الكلمة الأخيرة في قصة مأساتي السالفة... وفي الوقت نفسه تكون هي أول كلمة حقيقية لزرع الأمل الجديد لحياتي المقبلة. ولقد فكرت أن أضع لها عنوان (مذكرات فاشل). لكن الدكتور مجدي اقترح أن أضع لها عنوان (رسالة إلى المهاجرة الحسناء) فاستحسنت العنوان؛ حتى تكون بالفعل الطلقة الأخيرة التي أوجهها إلى قلبك الغادر وأنتهي منك إلى الأبد.

تعليقات ورد حاسم

ما أن مر عدد من الأسابيع على نشر هذه الرسالة -في كتاب- حتى انهالت رسائل كثيرة على الدكتور مجدي محمود معلقة على الرواية طالبة منه توصيل ما بها إلى مؤلف رواية (رسالة إلى المهاجرة الحسناء) وكانت تسأل عما إذا كان قد غادر المستشفى، أم لم يزل بها مقيما، كانت الرسائل تتراوح بين الإعجاب البالغ والنقد اللاذع... وخاصة للموقف المشين الذي وقفه في روايته من المهاجرات ممثلات في فتاته اللعوب... كما لو كان يريد أن يجعل منها رمزا لكل البنات المهاجرات... وهذا بعيد كل البعد عن الصحة والصدق... قليل من القراء هم الذين تناولوا أسلوبه والبناء الفني للرواية... كان الدكتور مجدي يسرع بكل رسالة تصل إليه... -وبعد أن يقرأها بعناية - يسلمها إلى مريضه حسين حسن القباني... كان يعتمد على هذا في مساعدته على اجتياز مرحلة النقاهة النفسية التي يمر بها... اعتبرها وسيلة ناجحة لإدماج حسين مع الناس والمجتمع مرة ثانية، بعد أن رفضه وابتعد عنه متقوقعا داخل اكتئابه المزمن الذي حاق به لسنوات طويلة...

كان يشاركه الفرحة بخطابات المدح والإعجاب، وأيضا كـــان يعقب معه على الرسائل الغاضبة على الكاتب الذي ((حـــاول الإساءة إلى شريحة من بنات مصر أجبرتها ظـــروف حـــرب وهزيمة يونيه ١٩٦٧م على ترك مدنهن الجميلـــة العزيـــزة واللجوء إلـــى أحيـــاء وقـــرى قبيحـــة لا تتناســـب وحيـــاة الحيوانات... ومع ذلك لم يقدر البعض هـــذه المعانـــاة التـــي مررنا بها بل يأتي من يتطاول عليهن ويصفهن في روايتـــه بأوصاف لا تطلق إلا على العاهرات... ولكن كل إناء ينضـــح بما فيه)) كان هذا جزءا من رسالة غاضبة لإحدى القارئـــات، ويبدو أنها كانت مهاجرة في يوم من الأيام... ولـــم يخفـــها الدكتور مجدي محمود عن حســـين... بـــل جعلـــه يقرؤهـــا بعناية... ومن ثمة أوضح له حسين أنه لم يخطـــر ببالـــه أن يفهم من روايته هذا المعنى أبدا ((بل على العكس من ذلك... كنت أدافع في رسالتي عن المهاجرين وظروفهم الصعبة التي مروا بها والتي تسببنا نحن في قرانا في خلق الجزء الأكـــبر من المعاناة والصعوبة لهم كما وقع من شيخ الخفراء عندمـــا غالى في الرفع من قيمة أجرة البيت الذي أجره لأهلها... ثـــم إنني كنت أدافع عنهم في مواجهة الجميع وخاصـــة أهلـــي،

ويثبت هذا إصراري على الزواج منهم... لكن نكبتي في من أحببتها،هي مجرد حالة خاصة لا تنطبق على الأخريات من المهاجرات))... كان الدكتور مجدي محمود سعيدا جدا بهذا التقدم الهائل، الذي يحرزه مريضه بالانصهار في بوتقة الحياة... لقد صار عضوا متفاعلا مع الآخرين، يسمع ويقول ويحلل ويرد على الانتقادات ويبرر وجهة نظره بحماس وصار يتحدث معه عن أماله وأحلامه الشامخة في أن يصبح بالفعل من أشهر كتاب الرواية... وخاصة بعد العديد من رسائل الإعجاب والإطراء...

ومع ذلك ظلت هناك رسالة وحيدة لم يشأ الدكتور مجدي محمود أن تصل إلى مريضه حسين حسن القباني... بل زيادة في الحرص أسرع بحفظها في خزينته الخاصة بمنزله، والتي لا يفتحها أحد غيره لاحتوائها في الغالب على أدق أسرار مرضاه... كانت الرسالة موقعة باسم حسنين محمد محمد خليل.

ما أن قرأ الدكتور مجدي محمود الاسم، حتى أدرك في الحـــال أنه حسنين ابن الوقيعة صديق مريضه حسين حسن القبــاني، والذي أشار إليه في الرواية على أنه أخلص أصدقائه، والذي كان لخبر اعتقاله الذي قرأه في الصحف الأثر البـــالغ علـــى نفسه، وكان واحدا من التراكمات المحبطـــة،التـــي أوصلـــت بمريضه إلى الحالة المرضية الصعبة التي عاشها... لذلك أخذ يقرؤها أكثر من مرة بعناية، وبعدها أخفاها بحرص في جيـب سترته الداخلي... لم يطمئن إلا بعد أن عاد إلى بيته، وقبرهـا إلى الأبد في خزينته... كانت الرسالة كما يلي:

دكتور مجدي محمود المحترم

تحيه طيبة وبعد

بالصدفه قرأت الرواية التي ساعدت صديقي القديم فـــي نشرها بعنوان (رسالة إلى المهاجرة الحسناء) وكم كان لـــها من تأثير سيئ على نفسي؛ وذلك لما احتوت عليه من كميـــة هائلة من الأكاذيب والادعاءات الباطلة، والتي لا تنتمي مـــن قريب أو بعيد إلى الواقع أبدا... مجرد خيالات مريضة فـاضت بها قريحة مريض!!... أسف... أنساني غضبي أن أقدم لـــك نفسي... أنا حسنين محمد محمد خليل مساعد النيابة العامـــة،

والذي أشار إليه كاتبك المريض في روايته باسم حسنين ابن الوقيعة.

صمم مريضك أن يطلق علي لقبا أكرهه لأنه من قبيل السب لي، بينما لا يجرؤ أحد في القرية – سواء قبل تسلم عملي في النيابة العامة أو بعده – على أن ينادينى به.... لكنه لم يزل هو حسين القباني... المغرور المتعالي المدلل، حتى في مرضه لا يتخلى عن سخريته من الآخرين، أو عن تعاظمه غير المبرر!!... لم يزل يعيش في كذبة كبرى... ابن تاجر القطن المدلل... والذي يرى دائما أن من حقه أن يحصل على كل ما يريد... وغيره يجب أن يضع نفسه في خدمته لتحقيق مآربه فقط... على أي حال لن أترك قلمي لغضبي وسأحاول أن أتناول الأمر بموضوعية وحيادية تامة في النقاط التالية:

١ – ادعى مريضك أن أباه مات بسبب رفضه لفكرة الطلاق الصوري التي أراد أن يجبره عليها زوجته وابنه الأكبر... ولكن هذا الزعم غير صحيح؛ لأن أباه قد أتم الطلاق الصوري بالفعل قبل موته بساعات، مما جعل الابن الأكبر يسرع في صبيحة الوفاة إلى بيت المأذون، يطلب منه تمزيق ما تم

كتابته بالأمس وقبل أن يذهب بدفتر القسائم إلى المحكمة لتوثيقه وختمه...هكذا قال المأذون نفسه بعد الوفاة بأيام لأهل القرية... ولكن من المؤكد أن أباه قد حزن على رسوبه حزنا شديدا ودليل ذلك أنه وبعد رسوب حسين بيوم واحد أوشك الرجل على الكلام مع نفسه في المسجد أثناء الصلاة... وكنت بالصدفة أقف بجواره في صلاة المغرب... وبعد الصلاة سألني ذاهلا وقبل أن يختم صلاته بالاستغفار والحمد ((أتصدق أن ابن حسن القباني يرسب في الثانوية العامة يا أستاذ حسنين؟!!) بالطبع أشفقت على الرجل، وحاولت التهدئة من دهشته وحزنه، وكان حزني أكبر وخاصة أنني كنت أعلم بمدى بلادة حسين وعدم اهتمامه بالمستقبل، وكأنه على وعد من السماء بتحقيق كل ما يتمناه، دون أن يبذل أي جهد وعلى وجه التحديد هذه المطاردة لابنة المهاجرين،التي حلت ضيفة على قريتنا، وصادقت أختي وكانت على قدر كبير من الجمال وكذلك الأدب والأخلاق، ولولا هذا لما سمحت لأختي بالتعرف إليها ومصادقتها... نعم كتب إليها خطابات فردت عليه بخطابات... وما زالت الخطابات عندي ولم تكتب إليه في أي منها غير كلمة أخي ولم تكتب إليه كلمة حبيبي مثلا...

كانت ابنة مدينة معتـــادة علـــى التعـــارف والتصـــادق مـــع الآخرين،هذا بالنسبة لنا في القرية لا يعني غير شيء واحـــد هو الانحلال... نعم قرر أن يتقدم لخطبتها والـــزواج منـــها، ولكن أهلها علقوا الموافقة على شرط واحد، هـــو أن يكـــون رجلا معتمدا على نفسه... ولو كان في الفتاة ما يرويه كمـــا سرد في خطابه الذي نشره في شكل رواية لمـــا فكـــر فـــي الزواج منها أبدا.

٢- ادعى مريضك أن هذه الفتاة كانت السبب في رسوبه فـــي الثانوية العامة، مما جعله يفكر في التطوع في الجيش... هـذا محض افتراء ومجرد اعتماد على التبرير الكـــاذب؛ ليحســـن صورته في نظر نفسه... والدليل على ذلك أن امتحان الثانوية العامة سنه ١٩٦٧م قد تأجل بعد أن نشبت الحرب... فقد كان مقررا له أن يعقد في يوم السبت الموافق ١٠ يونيـــه بينمـــا العدوان الاسرائيلي تم في صبيحة الاثنين ٥ يونيه ومـــا أن هدأت الحرب حتى تم عقد الامتحان من جديد بعدها بأيام... لم يكن قد مضى على مقدم الفتاة غير أيام محدودة جدا، والتـــي رأى فيها الفتاة... لكنه التبرير الكاذب حتى ينجي نفسه مـــن الخطأ.

٣- حاول مريضك أن يوحي -من خلال كتابه- أن المهاجرين كانوا كارثة كبرى حلت على الأماكن التي هاجروا إليها... لكن العكس هو الصحيح... فعندنا في القرية أكثر من شاب تزوج من بنات المهاجرين، ويعيشون معا حياة سعيدة، بل إن أولادهم في المدارس من أذكى الأولاد... كما أن العلاقات الحميمة صارت تربط بينهم وبين جميع أهل القرية من رجال ونساء، وحتى بعد أن انتهت الحرب، وانتصرنا في حرب اكتوبر، وطهرنا شواطئ القناة من الإسرائيليين، وبدأت مدن القناة تستيقظ من جديد منادية أهلها الذين هجروها وقت المحنة... لم يستجب لها من قريتنا إلا القليل، وفضل معظمهم البقاء معنا؛ لما صار لهم من نسب ومصاهرة وأعمال وتجارة... ولكي أذكر فضل المهاجرين علي أنا شخصيا... يكفي أن تعرف أنه بفضل إحدى الفتيات المهاجرات، تمكنت من الحصول على الثانوية العامة نظام السنوات الثلاث في العام التالي للنكسة سنة ١٩٦٨م، والتحقت بكلية الحقوق ... وبفضل تشجيعها لي بعد زواجي منها، حصلت على تقدير عال في الليسانس أهلني للعمل في سلك النيابة العامة... وأعيش معها ومع أولادنا الثلاثة أجمل أيام عمري؛ لما أضفته على

وعلى أسرتي من جمال ودفء وحب وتفان لإسعادنا... يتوج كل هذا خلق وأدب قلما أجده بين بنات قريتي التي تربيت بينهن.

٤- ادعى كذبا بأن الفتاة كان يعاشرها الآخر معاشرة الأزواج، وكأنه بهذا يحاول أن يهنئ نفسه لأنه تخلص من فتاة عاهرة... بالطبع لن أتكلم بلغتكم أطباء النفس... وأقول... إنها عقدة الإسقاط تتحكم فيه... ويكفي أن تذكره بفضائح أخته التي يعرفها هو، ويعرفها أهل القرية لكي يقتنع بأنه لم يزعم بهذا إلا ليحفظ لنفسه توازنها إذا ما عبرت نفسه أحاسيس العار، كلما تذكر ما قيل عن أخته... أما الفتاة التي ادعى بعهرها وأن الآخر كان يعاشرها معاشرة الأزواج فهي في الحقيقة أشرف فتاة على ظهر الأرض... وكانت بكرا في ليلة زفافها... ربما تدهش يا دكتور مجدي لكلماتي هذه... لكن أعتقد أن دهشتك ستزول عندما تعلم أن هذه الفتاة التي كتب إليها رسالته الكاذبة المريضة هي الآن زوجتي... ابنة المهاجرين التي دفعتني إلى النجاح، واعتلاء أعلى المناصب الوظيفية في الحقيقة لم أشأ أن أخبرها بأمر الرواية... بل اضطررت لحرق الرواية بعد أن قرأتها في مكتبي... ومن

حسن الحظ أنني قرأت السطور الأولى منها في طريقي إلـــى عملي داخل الحافلة... وفطنـــت فـــي الحــال لكــل أحــداث وشخصيات الرسالة... وعزائي الوحيد الذي يجعلني مــترددا في رفع دعوى على صديقي القديم ،هو أنه لم يزل مريضا... واعتقد أنه لن يكون مسئولا مسؤولية كاملة عمـــا كتــب أو ادعى به... وبالتالي لو تم التمادي في هذا الأمر سأحملك أنت المسئولية.

وأملي ألا أضطر في يوم من الأيام إلى رفع دعوى قضائيـــة عليك وعليه... كذلك آمل أن تساعدك هــذه الحقــائق التــي وردت في رسالتي في علاج مريضك؛ حتى يعود شخصا سويا مبرأ من كل العقد النفسية التي تعرفها جيدا ومنها الإســـقاط والتبرير؛ حتى لا يصيب أحدا بأذى في كرامتـــه أو عرضـــه وشرفه، كما أني آمل أن يكتب رسالة جديدة لا ينطق فيـها إلا بالحق. وشكرا

حسنين محمد محمد خليل

النيابة العامة

في الحال –وبعد أن أعاد قراءة الرسالة بعناية أكثر من مرة– أخرج الدكتور مجدي محمود الملف العلاجي لحسين حسن القباني، وشطب على التوصيف السابق، والذي كان بعنوان (ضحية صدمة عاطفية) وكتب بدلا منه (ضحية صدمة هزيمة ٥يونيه ١٩٦٧م). وشرع ينتهج طريقة جديدة لعلاج مريضه تتلاءم والمعطيات الجديدة.

سيرة ذاتية

الاسم : محمد نور الدين محمد على

تاريخ الميلاد : ٢٩ / ٦ / ١٩٤٨ م

المؤهل العلمي : ليسانس حقوق - جامعة القاهرة - سنة ١٩٧٣ م.

العمل : بالتربية والتعليم رئيساً للشئون القانونية ، عضو اتحاد كتاب مصر .

العنوان : مصر- القاهرة- مدينة نصر- شارع امتداد رمسيس- مدينة الصفا- عمارة ٢٢ شقة ٤٣.

الهاتف : منزل ٣٤٢٤٢١٧ / ٠٢

محمول : ٠١٠٢٧٧٢١٢١٣

الإنتاج الإبداعي :

أ - في مجال القصة القصيرة :

١. فاز بالجائزة الأولى في مسابقة القصة القصيرة التي أجرتها هيئة الإذاعة البريطانية القسم العربي من لندن في ١٩٩٢ والتي تقدم لها أكثر من ١٣٠٠ قصة قصيرة

على مستوى الوطن العربي وذلك عن قصة (حتى لا يطول الانتظار) .

٢. صدرت له مجموعة قصص بعنوان (البعض يفعل هذا) ١٩٨٨ م.

٣. صدرت له مجموعة قصص بعنوان (حضرات السادة العشاق) ١٩٨٩ م.

٤. صدرت له مجموعة قصص بعنوان (حتى لا يطول الانتظار) صدرت عن مطبوعات الفجر١٩٩٨

٥. تنشر قصصه القصيرة في مختلف الصحف والمجلات العربية.

ب- في مجال الرواية:

١. حصلت روايته (احترس من الدولار) على شهادة تقدير من جائزة إحسان عبد القدوس في عام ١٩٩٠ . ولقد نشرت في حلقات أسبوعية في صيف

١٩٩٦ على صفحات جريدة الأهرام المسائي ثم صدرت في كتاب عن مؤسسة الانتشار العربي لبنان عام ١٩٩٨ .

٢. حصلت روايته (حلم الأستاذ جمال) على شهادة تقدير في مسابقة الناقد للرواية عــن دار ريـــاض الريـــس بلندن وصدرت في كتاب عن الدار نفسها عام ١٩٩٣ .

٣. صدرت رواية (هذا ما حدث للأستاذ) في كتـــاب عام ١٩٨٧ .

٤. نشرت رواية (هذا ما حدث لكفــر مفتـــاح) فـــي حلقات أسبوعية بجريدة الأهرام المسائي عـــام١٩٩٣ .ثـــم صدرت في كتاب عام٢٠٠٧م عن مؤسسة الانتشار العالمي

٥. نشرت رواية (في قريتنا شيطان) في حلقـــات أسبوعية بجريدة الأهرام المسائي عام ١٩٩٤ م، ثم نشرت في كتاب صدر عن مؤسسة الانتشار العالمي.

ج – في مجال الفكر والتنظير :

١ – (يسقط النقد الفردي) كتاب صدر عن مؤسســـة الانتشار العالمي سنة٢٠٠٥م ، وضم بين دفتيـــه نظريـــة

معرفية جديدة بعنوان (وحدة الطبقات المعرفيـــــة الخمـــس للنفس البشرية)، ومنهج نقدي جديد بعنوان (النقد الجماعي التحليلي).